د. محمد يوسف نجم

من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة

دراسة في حياة ابي الطيب الشعرية

ما تزال سيرة ابي الطيب ، اعظم شعراء العربية واكثرهم اصالة مكتنفة بالغموض لاسباب عدة ، تعود في اكثرها الى انفته في عصر غابت فيه الانفة ، ونقمته الدائمة التي انطلقت من حقده الشديد على اولئك الذين حرموه « حقه » ، والذين طاردوه ولاحقوا اسمه ونسبه وشهرته في كل مرحلة من مراحل عمره القصير ، وحزنه العميق على ما آل اليه السلطان العربي، الممثل في الخليفة ، اذ اصبح خرقة بالية ، ورمزا دينيا واهيا ، وانتقل من يدي ابنائه واصحاب الحق فيه الى ايدي المتأمرين من الاتراك واتباعهم ، وما زال ينحط ويتدهور منذ عصر المعتصم حتى عصرنا هذا ، مرورا بعصر ابي الطيب اذ بلغ قمة التدهور وبدأ الانهيار الحقيقي يدب في اشلائه منذ عهد معاصر الخليفة المقتدر . ولذا فليس من الغريب ان نعتبر ابا الطيب بحسه القومي الصادق وبادراكه العميق لمشكلات الحضارة واسباب انهيار الامم، اكثر معاصرة من اكثر شعرائنا المعاصرين . وان يكون لديه بما وهب من فطنة ونفاذ بصيرة ، القدرة على التنبؤ بمستقبل امته . وان يكون صوته المدوي باروع العبر واجمل العبارات نذيرا لهذه الامة لمدى عشرة قرون او اكثر ـ وبذا يصح قوله في نفسه حين سئل عن نبوته فأجاب : انا اول من تنبأ بالشعر ، وان يكون ، كما وصفه القاضي الفاضل ، ناطقا عن خواطر الناس .

وقد تبين لي ، ان المرحلة الاولى من حياته ، مرحلة الكوفة وبادية السماوة وبغداد ، قبل ان يتخذ قراره الحاسم بمغادرة العراق الى بلاد الشام ، هي التي تملك مفاتيح كل دراسة جادة لحياته ومبادئه وشعره . ولما كانت هذه الفترة اشد الفترات غموضا في حياته ، فان دراستنا هذه ، وكل دراسة اخرى لا بد من ان تخوض في بحار مظلمة مضطربة ، وان تعتمد على الكثير من التخمين . هذا فضلا عن وجوب التزامها جانب الحذر والتقية والروية لانها مدرجة للخطأ مثيرة لحساسيات كانت وما تزال شديدة الفعل في النفوس .

العراقيات الاولى :

ان الاخبار التي روتها المصادر عن هذه الفترة ، قليلة متناقضة ، عن قصد وتعمد في تقديري . وفيها تنطمس امامنا معالم نسبه ، وانتماءاته . ومعظم ما حيك حولها من اخبار في الفترة العراقية الاخيرة ، لا يخلو من تشويه وافتراء ، كان مصدره في الاكثر حلقة المهلبي ، وزير معز الدولة البويهي ، وما بقي لنا من شعره فيها بعد تهذيبه واسقاط ما اسقط منه ، ليس اكثر من مقطوعات قليلة تنم عن مشاعر السخط والعنف والثورة التي كانت تنتابه آنذاك . ولعله ادرك ان « حقه » « لط » وان عليه ان يثب وثبة ماجد ، يعتمد على سيفه، وعلى ثقته بالله ، وهو حري بهذا ، اذ لا احد فوقه ولا احد قبله من هؤلاء الذين يضمرون له السوء وينكرون عليه حقه، ويتآمرون عليه وعلى اسرته (١) .

ثمة ثلاث قصائد تنتمي الى هذه المرحلة . احداها في خطاب رجل اسمه ابو الفضل (٢) : « ذكر انه قالها وهو ما يزال يتلقى العلم في مكتب للعلويين وان ابا الفضل اراد ان يستكشفه عن مذهبه . فلم كانت عملية الاستكشاف هذه ، ومن كان ابو الفضل هذا ، الذي كان يخاطبه الشاعر الفتى بتواضع وفي حذر متأن رفيق ؟ لعله كان يحاول في تلك الفترة المبكرة من حياة الشاعر ان يثير فيه حب الاستطلاع ، ويوقع روحه في القلق

(١) انظر الواحدي ٢١ ، وعزام ٧ .

(٢) انظر الواحدي ١٧ ، وعزام ٨ .

اعتذار

كنت ارجو لهذه الدراسة ان تبلغ غايتها فتتناول حياة ابي الطيب الشعرية منذ بدايتها حتى نهايتها . ولكن ضيق الوقت وتشعب البحث حالا دون ذلك . وانا لا اعتبر الدراسة منتهية وسامضي في استكمالها حتى نهاية حياة ابي الطيب . لان مشاعره القومية لا تتضح في هذه المرحلة التي تناولها البحث ، وانما كانت تمتمات تبعها في مراحل متاخرة تعبير صريح عن حس الشاعر القومي وصورة البطل القومي كما تخيلها وصورها ابلغ تصوير . ومن الظلم لهذا الشاعر الذي اعتبره اعظم شعراء العرب واكثرهم اصالة ومعاصرة الا تتفح حقيقة مشاعره واهدافه لابناء هذا الجيل الذي هو في اشد الحاجة الى شاعر كابي الطيب يوعيه بقضايا امته ويفتح عينيه على الاخطار المحدقة بها .

والحيرة ليعرض عليه مبادىء بعينها ، الى جانب ما كان يقدمه له من هبات سخية ، تعينه على بلوغ مأرب فيه. ان بناء القصيدة والفاظها وعباراتها تضعنا في جو غريب، من الاضداد التي جمعت في متشابه ، وصفات هذا الاوحد التي بهرت واصفيه فانطقهم وافحمهم ، وذاك الجوهر المصفى من ذات ذي الملكوت ، حتى غدا نورا بلغ منزلة اللاهوتية ، واتاح له علم ما لا يعلم ، فهو « اله » ، يحار محدثه أفي حلم هو أم في يقظة ، ولكنه لا شك في يقظة شديدة ، يقظة الوصول والاتصال التي يفوق فيها العيان اليقين .

قصيدة عجيبة ، تشي بامور ندركها بالفهم وان كنا لا نستطيع ان نثق فيها بخبر او علم . انها نوع من الجيشان النفسي المريع الذي يفرز الرؤى الغيبية والمشاعر الباطنية في ومضات خاطفة . ولا شك ان نفس ابي الطيب ،على حداثة سنه آنذاك ، كانت تنمو نموا باطنيا وتنكمش الى اغوار سحيقة في الذات وهي تتجرع غصص هذا الالم العميق الذي يمزقه بين مشاعر القبول والرفض، والثورة والاستسلام .

القصيدتان الاخريان اللتان تنتسبان الى هذه المرحلة، اذا صحت روايات الديوان واخبار المؤرخين ، قالهما في ابي الحسن محمد بن عبيدالله العلوي المشطب ـ محمد بن عبيدالله بن محمد بن عبيدالله بن محمد بن علي بن عبيدالله ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو احد علويين مدحهما فيما بين ايدينا من ديوانه . وكان له ـ كما يقول ابن حزم ـ قدر بالكوفة ، ومنزلة عند الديالمة ، يعارض بها منزلة بني عمر العلويين بالكوفة (٣) . وكان محمد بن عبيد الله قد واقع بظاهر الكوفة قوما من العرب الذين كانوا كثيرا ما يغيرون على القرى والاطراف في ذلك الوقت ، وهو شاب دون العشرين ، فقتل منهم جماعة وجرح في وجهه فكساه الجرح حسنا . ويزعم بلاشير ان هذه القصيدة قيلت في الممدوح وهو في بغداد ،اثناء زيارة المتنبي لها ، وكان ثريا واسع الثراء يقيم في قصر منيف في ربض حميد على الضفة اليمنى من دجلة ، وكان القصر فيما مضى للوزير ابن الفرات قبل مصادرته سنة ٣١٢ هـ . (٤)

ومهما يكن من امر فان في القصيدة (٥) دلالات وايحاءات كثيرة . اولها روح « التبدي » الظاهرة فيها، فالقصيدة تنضح في مقدمتها الغزلية ، وفي سياق وصف الرحلة ، وفي الفاظها ومعانيها عامة بروح البداوة التي عاد بها ابو الطيب من بادية السماوة ولزمته طول حياته ، وتجلت في اخلاقه ، وفي مواقفه وفي صوره الشعرية . انها في نظري اول بادرة تنم عن اختيار متعمد لمسلك في الحياة ، سيلتزمه ابو الطيب. ويحرص عليه ، ليكون له مهربا او عزاء او وسيلة فعل في حضارة يعيش فيها وهو يرفضها ، وضمن انظمة وجماعات تفرض سلطانها عليه ، بحكم وجوده فيها ، وهو ينكرها ويتمرد ثم يثور عليها ويقول : وما انا منهم ، بالعيش فيهم (٦) .

ولم يستطع ناقد متحامل مثل سعد بن محمد الازدي الشاعر ، الملقب بالوحيد ، ان يدرك في تعليقه على شرح ابن جني المعروف بالفسر ، ان هذا التبدي ، في شعره وهيئته لم يكن حبا في الغرابة ، او رغبة في مجافاة الحاضرة أي روح العصر ، بل كان موقفا حضاريا وقوميا اختاره ابو الطيب منذ عاد من السماوة ولزمه في شعره ونهج سلوكه حتى اواخر ايامه ، حين احس بغربته، غربة الوجه واليد واللسان ، في عالم ليس له . يعلق الوحيد على ابيات لابي الطيب بقوله :

« كان اول امر المتنبي انه اظهر البدوية حدثني احد بني الفصيص بجبلة قال:انحدر من جبال الشراة بقباء كرابيس محشو وزربول في رجله وعمامة زرقاء من قطن تعمم بها مشتملا بذؤابه ويستر وجهه بطاق منها متنكبا قوسا عربية » (٧)

وفي القصيدة ما ينم عن صداقة قديمة بين الشاعر وممدوحه ، واياد سابقة لهذا العلوي على ابي الطيب الذي رأى فيه اول صورة للبطل العربي الذي اكتملت فيه صفات المروءة ، بمفهومها الجاهلي ، فهو كريم المحتد ، اريحي وفي ، ذو حسبة ، وفارس مغوار ، يجيد الطعن بالقناة والضرب بالسيف ، حتى ليبلغ فيهما الغاية ، كثر حساده لفضله وشجاعته ، كما كثر حساد ابي الطيب، ولقد ساد قبيلته وهو امرد لم يتجاوز سن الاحتلام . ولعل ابا الطيب رأى فيه صورة نفسه ، التي عبر عنها

(٣) جمهرة الانساب لابن حزم ٥٦ .

(٤) بلاشير : ابو الطيب المتنبي ٦٢.

(٥) انظر الواحدي ٦ وعزام ٢ .

(٦) انظر الواحدي ١٦٠ وعزام ٩٢ .

(٧) ابن جني ـ الفسر ٢ : ٤٩ ب .

بشعره آنذاك ، ثم حققها في تمرده على الاوضاع المتردية، وثورته على السلطة في بلاد الشام .

القصيدة الثانية في مدح العلوي (٨) ، وردت في زيادات ديوانه الذي حققه الدكتور عبدالوهاب عزام . نسجها مهلهل ، لا يضاهي نسج سابقتها ، وقد الجيء الشاعر فيها الى ضرورات كثيرة والى عبارات متكلفة، والى صور مضطربة التشكيل ، وانا اميل الى استبعادها، ولعلها مما قاله ابو الطيب في اول صباه ، وقدمها الى صديقه وتربه العلوي آنذاك او لعلها مما مدح به احد الشعراء المستجدين ذاك العلوي الثري السخي ، فنسبت الى ابي الطيب اشهر مادحيه .

حوالي سنة ٣٢١ هـ ، فارق ابو الطيب العراق ، ولعله اراده ان يكون فراقا من غير رجعة ،اذا لم تدفعه الاحداث المتعلقة بنسبه وجدته واسرته وحقه المهضوم الى العودة . وكان قد رسم لنفسه خريطة واضحة لواقع العصر وحقيقة القوى المتصارعة فيه .

ففي بغداد شهد هوان الحكم العربي نتيجة ضعف الخليفة المقتدر ، الذي كان لحما على وضم كما وصفه ابو الطيب ، لتهالكه على الترف والملذات وخضوعه في القصر لنفوذ الحرم ، الوالدة الاغريقية شغب والقهرمانة ام موسى الهاشمية . وفي الحكم لسلطة الامراء الاتراك وعلى رأسهم مؤنس المظفر ، ونوابه واتباعه وفرقه الخاصة . ولعله ادرك هذا الضعف المتخاذل من ناحية ، وتلك السلطة الغلابة من ناحية اخرى اثناء اقامته في بغداد ، حين خلع الامراء الاتراك المقتدر ، ونصبوا اخاه مكانه ، ثم اعادوه الى الحكم بعد ان رضخ لشروطهم وادرك انه لا قبل له بمقاومة الجيش الذي كان على رأسه الامراء الاتراك . وقبل ان يغادر ابو الطيب العراق كان الجيش بزعامة الاتراك قد قام بانقلاب ، واصطدم مع انصار الخليفة ، واستطاع ان يهزمهم وان يقتل المقتدر ، وبقتله طعنت الخلافة في الصميم ، وظل جرحها ينفر حتى قضي عليها .

وادرك ابو الطيب قبل مغادرته العراق اشياء اخرى، فقد بلغ من هوان السلطة المركزية ان كثر الثائرون عليها المتطلعون الى تخطف اشلائها ، وبالتالي القضاء على سلطان العرب . فمرداويج بن زيار مؤسس الدولة الزيارية رفع شعارا صريحا ، كان يرفعه كثير من الثائرين والمدعين والخوارج في عصره ، وهو « انا ارد دولة العجم وابطل دولة العرب » . وميمون القداح قبله رفع شعارا مشابها يعبر عن اهدافه السياسية التي كان يخفيها وراء اهدافه الدينية ، وهو رغبته في القضاء على سلطان العرب وعلى الدين الاسلامي الذي جلب اليهم تلك السلطة وارجاع مجد ايران ثانية . ولم تكن غاية القرامطة ، الذين تكررت هجماتهم على مدن العراق في سنوات ابي الطيب الاولى ، والذين اشترك ابو الطيب في حربهم ، مختلفة عن تلك الغايات .

ولم يكن ابو الطيب ، وهو صاحب الحق ، يرى نفسه دون هؤلاء جميعا ، ففي تراثه وحقه وموهبته وادراكه العميق لازمة العصر ما يعينه على ان يثور كهؤلاء، وان كان هدفه يختلف عن اهدافهم ، اذ لا بد ان يسلك مسلكا معارضا لمسلك خصومه الذين هضموا حقه ، وان كان سيثور فسيثور لغاية انبل وهي احياء روح البداوة ، ومثلها في المروءة والرجولة والتعرب ، مقابل ما كان يطرح باسم الدين والسياسة آنذاك من دعوات غايتها الخفية القضاء على العرب والسلطان العربي .

خرج ابو الطيب من الكوفة وهو على وعي تام بالقوى التي تنتاش مصير الامة . فهناك المتسلطون في عاصمة الخلافة من الاتراك ومن اليهم ، وقد آثر ان يتجنبهم فلم يتصل بهم ولم يمدح احداً منهم ، ولو كان مطمعه في مسجد يستفيده لفعل ، ولاغدقت عليه العطايا والهبات ولقرت نفسه وطاب مقامه في بلاده ، ولكنه كان يرى فيهم اعداء لمطامحه ولأمته،غير جديرين بغير الاطراح والازدراء.

وهناك البويهيون الديلم ، الذين تحالفوا مع بعض خصوم الخلافة من اصحاب النحل ، ورفعوا شعار سيدهم وولي نعمتهم مرداويج وكانت اسماء مؤسسي دولتهم، الاخوة الثلاثة ، علي وحسن واحمد ، قد اخذت تتردد في احداث ايران الغربية وتبلغ اصداؤها العاصمة، واستطاعوا ان يقتطعوا لانفسهم عددا من الولايات الشرقية، ولم تأت سنة ٣٢٢ حتى اصبح الجنوب ملكا خالصا لهم ، استولوا عليه كما استولى السامانيون والزياريون على اجزاء اخرى من ايران ولم يبق بيد الخليفة الا حدود ايران الغربية . وكان باستطاعة ابي الطيب ، لو شاء ، ان يضمن لنفسه غدا مشرقا مع هذه القوة الجديدة التي ظهر عنفها وعنفوانها منذ اخذت تنسل تدريجيا من طاعة مرداويج وتصنع لنفسها امجادا خاصة مستقلة عن سيدها الزياري. ولكن تاريخ هذه الاسرة ، وتاريخ اعتناق الديلم الاسلام ، وتحالفاتهم مع بعض القوى التي كانت تعاديه وتضمر له الشر في الكوفة ، وتطلعها الى الاستيلاء على السلطان العربي ، كل هذا جعل ابا الطيب يطرحها ولا يلقي الى زعمائها بالا حتى فيما بعد ، عندما بلغوا اوج عظمتهم، كما كان شأنه مع معز الدولة ووزيره المهلبي في اخر زيارة قام بها الى بغداد بعد عودته من مصر .

وكان ثمة بنو حمدان ، وكان لهم ثقلهم الكبير في السياسة العباسية منذ سنة ستين ومائتين . واستطاعوا بتوددهم الى الخلافة ، وبمآثرهم في هزيمة بعض خصومها ان يتولوا بعض الولايات للمقتدر في اوائل القرن الرابع . وكان من ابرزهم ابو الهيجاء الذي عظم سلطان الحمدانيين في عهده ، وبرز اسمه حين ولاه المقتدر الموصل والجزيرة ، ثم في صد القرامطة عن بغداد سنة ٣١٥ . وورثه من ابنائه الحسن (ناصر الدولة)، وعلي

(٨) انظر عزام ٥٢٦ .

(سيف الدولة) الذي سيكون لابي الطيب معه شأن عظيم . كانت اسماء زعماء الحمدانيين تتألق وابو الطيب ما يزال في العراق ، وكان ابناء هذا البيت العربي العريق يلفتون نظره ونظر كل من يتطلع الى انقاذ السلطان العربي من امراء الاتراك ، والمتغلبين على الاطراف . فهذا فريق ينبغي لابي الطيب ان يراهن عليه وان يختبر حظه معه . وستكون محاولة ابي الطيب لربط حظه بركاب الحمدانيين ، اولى محاولاته للاتصال بالقوى البارزة خارج العاصمة ، في بلاد الشام التي كانت ، بقبائلها الثائرة وبالمتطلعين الى اقتطاعها والاستئثار بها دون الخلافة المركز الثاني للمعارضة ، اذا اعتبرنا بلاد فارس المركز الاول .

ففي سنة ٣٢١ كان ابو الطيب يجتاز حدود العراق في طريقه الى بلاد الشام ، فمر برأس عين وقد اوقع سيف الدولة بعمرو بن حابس من بني اسد وبني ضبة وربـاح من بني تميم ، فاهتبل ابو الطيب الفرصة لعقد اواصر الود مع هذا البيت العربي الذي كان له في السياسة العباسية شأن عظيم .

في هذه القصيدة (٩) يسوق ابو الطيب الغزل الذي يقدم به للمديح في ديباجة بدوية ، كان يؤثرها دوما وخاصة في مديحه لامراء العرب ورؤسائهم ، ويبالغ في وصف ما يراه في ممدوحه من صفات الفتوة والمروءة، مما استخلصه هو لنفسه ، وما يتمنى ان يرى عليه البطل العربي المثل ، صنوه او بديله ،وفي ابياتها ما يؤكد ما ذهبنا اليه من معرفة ابي الطيب بمآثر هذه الاسرة العربية ، التي ستكون احدى القوى التي سيلجأ اليها اذا اخفق تدبيره ، وباءت خططه في استخلاص حقه وفي خلاصه الفردي بالخيبة .

ويروي الرواة ان ابا الطيب لم ينشده هذه القصيدة، ولعل ظروف المعركة واضطرار سيف الدولة الى الانسحاب منها حالت دون ذلك ، او لعله طواها لما ستثيره عليه من غضب بعض القبائل ، في وقت كان يخطط فيه للاتصال بالقبائل الشامية ليعجم عودها ويستعين بها على تحقيق هدفه .

القوة الثانية التي لفتت اليها ابا الطيب آنذاك ، وهو بصدد التخطيط لمستقبله ، هي قوة محمد بن رائق. وقد قلد ابناء رائق ، ابراهيم ومحمد ، شرطة بغداد مكان التركي ناروك سنة ٣١٧، وكان ابو الطيب ما يزال في العراق ، وصرفا عنها بعد سنة ، واعيدا اليها وضمت اليهما الحسبة في السنة التالية ،وبرز اسم محمد بن رائق كذلك بعد مقتل المقتدر ، اذ انضم الى الحزب المؤيد للخليفة امام مؤنس التركي وانصاره . وسيكون له دور كبير فيما سيأتي من احداث وخاصة في الوقوف امام مطامع الاخشيد .

والاخشيديون هم القوة الثالثة التي كانت تبرز امام ابي الطيب في حلبة الصراع على الحكم في بلاد الشام . وقد كان للاخشيديين دور كبير في احداث الدولة الطولونية، ولمعت اسماؤهم في مناصب عدة تولوها . وفي عهد المقتدر وابو الطيب في العراق، ولي محمد بن طغج على الرملة ثم اضيفت اليه دمشق ، وفي السنة التي غادر فيها ابو الطيب العراق ضمت الى ابن طغج ولاية مصر ، فضلا عما بيديه من بلاد الشام . وكان ابو الطيب ، دون شك ، يتتبع هذه الاخبار وسواها مما يحدث في ايامه لانه كان يخطط لمستقبله ، ويسعى لاستخلاص حقه المهضوم ، على ضوء صراع القوى في المنطقة ، وخاصة في بلاد الشام ، التي اختارها لتكون منطلقه الى تحقيق غاياته .

ولكن ابا الطيب كان يدرك انه ، وهو الضعيف الحول، المحاط بالحساد والمتآمرين ، لا يستطيع ان يدخل طرفا في قوة من هذه القوى قبل ان يحقق شيئا بجهده الخاص، يلفت اليه انظار المتصارعين على الحكم ، وخاصة هؤلاء الذين يرضى عن خطتهم ، ويلتقي معهم في مشاعره العربية العامة ، التي ستتجه اخيرا الى استرداد السلطان العربي من ايدي اولاء الذين احكموا الطوق حوله وضيقوا عليه الخناق ، وسلبوه كل قدرة على الحركة او العمل . ومن هنا اتجهت انظار ابي الطيب الى القبائل العربية في شمال الشام ، وكان قد خبر الكثير من طبائع البدو وادرك ما يعتمل في اعماقهم من روح التمرد والثورة على السلطان ، وعرف فيهم صفات المروءة والفتوة التي كان يتعشقها ، ويدرب نفسه على انتحالها .

الشاميات الاولى : في جولته الشامية الاولى ، قبل سجنه ، قصد ابو الطيب القبائل العربية وكان بدويا في زيه وطباعه واخلاقه وشعره مما سهل له ان يتغلغل فيهم وان يكسب ودهم ويحوز ثقتهم .

حفظ لنا الديوان في ترتيب ابن وكيع ، وهو اسلم ترتيب في نظرنا ،زهاء عشرين قصيدة ومقطوعة ، قيلت في بعض امراء القبائل من الكلابيين والطائيين ،وقيل بعضها في مناسبات اخوانية كانت تجمعه ببعض شخصيات العصر التي لا تعني مصادر التاريخ والادب بذكرها . وبعض هذه القصائد قيل فيما ارى ، في بعض الولاة .

القصيدة الاولى التي تنتمي الى هذه الفترة هي قصيدته في مدح سعيد بن العباس بن الحسن الكلابي ـ سمته بعض المصادر سعيد بن عبدالله ـ وكان فيما يبدو اميرا من امراء بني كلاب الضاربين على الضفة اليسرى من الفرات تجاه منبج . وهو والد اميرين اصبحا سنة ٣٢٤ و٣٣٣ حاكمين على حلب من قبل الاخشيد (١٠) . يبدأ ابو الطيب القصيدة (١١) بمقدمة غزلية بدوية ،ثم

ـ التتمة على الصفحة ـ ٦٠ ـ

(٩) انظر الواحدي ٥٨٩ وعزام ٤٠٨ .

(١٠) انظر بلاشير ٦٧ ، وهو ينقل عن اعلام النبلاء للطباخ .وانظر ابن العديم ١ : ٩٨ ، ١١١ .

(١١) انظر الواحدي ٢٤ وعزام ١٠ .

من خلاص الفرد الى خلاص الجماعة

تتمة المنشور على الصفحة ـ ١٦ ـ

يتخلص الى مدح الامير سعيد فيذكر طيب نجاره ، ويشير الى امجاد جده وابيه ، ويمدحه بالسخاء والشجاعة ، ويشير الى ان قبيلته لحبها اياه تكتحل بترابه ، ويذكر ابادته تميم وقبيلة جناب ـ وهي بطن من وارم بن مالك ابن تميم ـ خاصة . ثم يختتم بوصف رحلته الشاقة اليه ، ويلتمس رفده .

بعد ذلك ، في ترتيب ابن وكيع ، تأتي داليته المشهورة التي مطلعها : (١٢)

كم قتيل كما قتلت شهيد لبياض الطلى وورد الخدود

ومن قصائد المدح التي قالها ابو الطيب في منبج ايضا ، قصائد اربع قالها في مدح بعض رؤساء الطائيين الذين كان يسعى الى ان يوثق صلته بهم ليكونوا عونا له على تحقيق مأربه . منها ثلاث قصائد قال احداها في ابي شجاع بن محمد .

في القصيدة الاولى (١٣) ، وبعد مقدمة غزلية بدوية النفحات والصور ، يتطرق الشاعر الى الحديث عن الموت الذي لا يفلت احد من قبضته مهما يكن عزيز الجانب ، وهو بكاء للنفس حزين يذكرنا ببكائيات عدي ابن زيد ، ثم يتحدث عن وقار الشيب ، ونزق الشبيبة ، ويبكي شبابه . وينتقل بعد ذلك الى قبيلة الممدوح فيصفها بالعزة والكرم ، وحسن السمعة ، ثم ينقض على ممدوحه بأبيات خمسة يبالغ فيها في مدحه ، حتى يتجاوز حدود المعقول ، ويستمطر سحاب جوده ، على ان يكون ثرا يخشى معه من الغرق .

وفي قصيدته (١٤) في مدح ابنه شجاع ، لا يخرج عن هذه المعاني ، ما دامت الغاية واحدة . حتى حبيبته التي ينسب بها تفدو عدوية ، من عدي بن سنبس ، ولا بد من مدح قبيلته ، طي ، ووصفها بالعزة والمنعة ، والتنويه برهطه من ثعل بن عمرو وجلهمه ، ثم يمدحه بالجود والاريحية ، كما مدح اباه ، ولكن الممدوح شجاع محارب ، فلا بد من ذكر شجاعته وخاصة في قتاله الروم ، وذكر حساده وعداته الذين قرحوا لغيبته عن منبج ، وما اشد حساسية ابي الطيب للحساد والعداة الذين يطاردونه في كل مكان .

ومدح ابو الطيب طائيا آخر من جديلة ، هو علي ابن احمد الخراساني ، ويبدو انه كان كاتبا اديبا ، فلا بد ان يكون مدحه مختلفا عن مدح اقاربه . فهو كريم كثر قصاده ومنتجعو غيثه وفي بالذمم رحب الصدر كبير القلب كفيره من الطائيين ، ولكنه ايضا المعي نافذ البصيرة بعيد الغور جيد الرأي ، كاتب بارع لا تخبو نار حرب يؤججها بقلمه الذي بز الحسام في حدته ، فذباب الحسام انجى منه ضريبة .

بقيت قصيدة (*) مدح اخرى قالها في هذه الفترة ، في احد امراء حمص . وتذكر المصادر ونسخ الديوان انه لم ينشدها احدا . ولا تعيننا المصادر التاريخية على استنتاج اسم الامير الذي قيلت فيه . ولنا في ذلك اجتهادات قد تخطىء وقد تصيب . اولها ان تكون في ابي العباس احمد بن كيغلغ ، وكان احد ممدوحيه في هذه الفترة كما سيتبين لنا فيما بعد ، قالها فيه عند التحاقه بابن طغج في حلب واتفاقه معه ومحالفته اياه ، حوالي ذلك التاريخ (١٥) ، فتكون « عودة الدولة الفراء ثابتة » ، اشارة الى انتصار ابن طغج على بشرى الخادم ، وتكون القصيدة بهذا المعنى احد الحبال التي مدها ابو الطيب مع الاخشيديين ، او على الاقل تحية ومجاملة للامير احمد بن كيغلغ الذي سيضطر ابو الطيب الى مد حبال اخرى معه فيما بعد . او تكون في طريف بن عبدالله السبكري الخادم ، غلام مؤنس المظفر ، الذي ولاه سيده حلبا ، سنة ٣١٩ ، وبقي فيها حتى سنة ٣٢١ . وكان ـ على ما يذكر ابن العديم ـ ظريفا شهما شجاعا ، وحاصر بني الفصيص في حصونهم باللاذقية وغيرها فحاربوه حربا شديدا . فاذا سلم لنا هذا التقدير ، تكون الاشارة الى بني بحر ، وهم بطن من زهير بن جناب الكلبيين ، وبني ثعلبة الطائيين اشارة الى بعض القبائل التي ساندت بني الفصيص المتنوخيين في حربهم مع طريف . وكتمان ابي الطيب قصيدته هذه ، قد يفسر بخشيته من الوقوع في الحرج او ايغار صدور بعض اطراف النزاع عليه وخاصة ان طريفا لم يلبث ان غادر شمالي الشام وعاد الى بغداد ، واشترك في افساد مؤامرة سيده مؤنس المظفر ، وبليق وابنه علي على القاهر ، وقبض بنفسه على مؤنس وسلمه للخليفة .

هذه هي اهم القصائد التي قالها ابو الطيب في المدح قبيل سجنه . وهنالك في المقطعات التي قيلت في الفترة نفسها ما نظم في بعض اصدقائه ، كابي القاسم عبيدالله بن خراسان الطرابلسي ، ويبدو من مقطوعتين اخوانيتين (١٦) شكره فيها على بعض هداياه ان بينهما ودا قديما ، وعهودا من الصداقة ثابتة ، وله فيه قصيدة قالها بعد خروجه من السجن . وقد عثرنا في الوافي بالوفيات (١٧) على شاعر طرابلسي اسمه احمد بن الحسين بن عبدالله بن خراسان بن حيدرة الطرابلسي . فهل

(١٢) انظر الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .
(١٣) انظر الواحدي ٣٨ وعزام ٢٠ .
(١٤) انظر الواحدي ٦٦ و٧٢ وعزام ٢٩ ، ٤٠ .

(*) انظر الواحدي ٦١ وعزام ٣٦ .
(١٥) انظر ابن العديم ٩٧ .
(١٦) انظر الواحدي ٣٥ وعزام ١٦ .
(١٧) الوافي بالوفيات للصفدي ٦: ٣٥ .

يكـون عبدالله هذا جده . واذا كان من بني حيدرة ، وهي اسرة كانت معروفة في طرابلس تولـــى بعض رجالهـا القضـاء (١٨) فلم هجا ابو الطيب بعض افرادهـا (١٩) ومـدح البعض الاخـر .

وفيها ايضا قطعـة قالهـا على لسان احد اصدقائه التنوخيين ، ولعلها بقية مقطعات بل قصائد قيلت لهـم وفيهم في هذه الفترة ثم اسقطت من الديـوان لسبب من الاسباب ، لان ابا الطيب سيعـود الى التنوخيين بعـد خروجه من السجن ــ اذا اخذنا بترتيب ابن وكيع ــ علـى انه صديق قديم جاء ليصل من حبال الود ما انقطع . وفيها اخوانيات اخرى وحديث عن الشطرنج ، وادانة للفقر الذي كـان يمزق ابي الطيب آنذاك .

ان قصائد المديح ومقطوعاته في هذه الفترة، لاتخرج عن كونهـا وسيـلة لاستدرار المال والعون ، ولمد حبال الصداقة ، او توثيق عراها وخاصة في الاوساط اليمنية التي كـان ينتمي اليهـا ابو الطيب ، فهو جعفي ابـا همدانـي امـا .

يبقى من قصائد هذه الفترة ثلاث ، هي فيمـا نرى ادقهـا تصويرا واروعهـا تعبيرا عمـا كان يعتلج في نفس الشاعـر المقهور البائس من حقد على الذين هضموه حقه وغضوا من مكانته ، مـا كان يتطلع اليه من مطامح لوتحقق بعضهـا بعون من بعض هؤلاء الممدوحين ، وبتأييد مـن القبائل اليمنية لشفى غليله وحقق اماله .

اولاها داليته (٢٠) المشهورة التي وضعها ابن وكيـع وغيره ممن عنوا بترتيب ديوانه في قصائد هذه الفترة . وينفـرد ابن العديم (٢١) بالزعم بانه قالهـا في مدح ابـي العباس احمد بن كيغلغ . وقـد كـان ابو العباس ، كمـا يذكر ابن العديم ، اديبا شاعرا جوادا . وكان لـه فـي احداث هذه الفترة دور بارز لم يفت ابا الطيب التنبه اليه وتتبعه . فقد ولي مصر وحلب مرات عدة ، وكانت ولايتـه الثانيـة على حلب سنة ٣١٧ ــ ٣١٨ . وحين كسر ابـن طغج جيش بشرى الخادم الذي ولاه القاهر دمشق وحلب بعد القبض على مؤنس سنة ٣٢١، وقتل هذا الوالي، وصل ابن كيغلغ الى حلب واتفق مع ابن طغج وحالفـه . فهـل مدحه ابو الطيب في تلـك الايام ؟ ومهمـا يكن من امر فالقصيدة فيهـا بيت تخلص اشار فيه الشاعر الى سري لباسه خشن الصوف ثم وقف عند هـذا ، وتجاوز المدح الى الحديث عن مطامحه وآلامه . ولعل ابا الطيب اسقط هذا المقطع المدحي ، حين نقح شعره في حلب ، لان دواعي المديح ذهبت ، والممدوح لم يعـد ذا تعلق بشئون الفترة التـي اصبح فيهـا .

او لعل القصيدة مركبة من قصيدتين بقي من الاولى مقدمتها الغزليـة وبيت التخلص ، وبقي من الثانية حديثه عـن نفســه .

في هذه القصيدة يعبر عن احاطة الاعداء به ، فهو في ارض نحلة كالمسيح بين اليهـود ، وهو يشعر بالغربة، وكـأنه صالح في ثمود . ويصف حالة البؤس والنكد التي غدا فيهـا ، وضيق صدره بمـا لقي من متاعب في طلـب الرزق ، وسوء الطالع الذي لازمه . ثم يخاطب نفســه ويحفزهـا على الثورة التي تحقق للانسان العزة والكرامة وتشفي على صدره . ولا بد لخلاص الفتـى المظلوم الحاقد من هذه الثورة التي سيكسب بهـا لنفسه امجادا ومفاخر تغنيه عن امجاد قومه ومفاخر اجداده. فلا بد من ان الناس في ذاك المجتمع القبلي الذي يهمه الاصل والنسب كانـوا يسألونه دومـا ان ينتسب فيأبى ذلك ، لان ثمـة مانعـا يحـول بينه وبين البوح بهذا السر ، الذي اشارت عليه جدته العاقلة الصالحة ، وربما ابوه كذلك ، وبعض مـن يعنيهم هذا الكتمـان ، ان يطويه في قرارة نفسه . ولذا نـراه ينفجـر في اربعـة ابيات يحسم بها هذه القضيـة التي كانت تؤرقه وتثير التساؤل في نفوس الناس من حوله، حين يرون انفسهم مواجهين بعبقري متمرد ، يخاطبهم من عل وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره . فهو ، وان كان قومه فخر كل مـن نطق الضاد ، وعوذ الجاني وغـوث الطريد ، ليس بحاجة الى ان يتقوى بانتسابه اليهم فـي نضاله لتحقيق اماله ، فهم شرفوا به ، ولم يشرف هـو بهم ، وهو يرى نفسه في الذروة ، لا احـد فوقه، وهـو ترب الندى ، ورب القوافي وسمام العدى وغيظ الحسود. وهذا كله يجعله غريبا في قومه ، كمـا كان صالح فـي ثمـود .

ونراه في اللامية (٢٢) يدور حول بعض هذه المعاني ولكنه يتجاوز التعميم الى شيء من التخصيص ، فهنـاك طائفـة من خساس الناس ، او خشاشهم ، رموه بشيء ، لفقـوا له تهمة ، او قدحوا فيه ، وهو ينذرهم بأن غايته هي نفوسهم ووسيلته اليهـا ليست سوى السيوف ، وفي هذه القصيدة يردد الحديث عن عزة نفسه ، على الرغم من فقره ، وعلو منزلته ، وعظم همته التي تحقر كل مطلـب وتقرب كل بعيد ، ويشير الى انه كان راسخا ركينا كالطود الى ان مسه الضر ولحقه الضيم ، فآثر ان يخوض رحلـة الشقاء على مـا فيهـا من عناء شديد بغية تحقيق ما يتطلع اليه من مجد وعلى ، وحفاظا على كرامته ان يمسها ضيم الضائمين ..

والميمية (٢٣) هي الحركة الثالثة في ملحمة الحقد والتمرد التي انشدهـا ابو الطيب قبيل اقدامه علـى التمـرد .

ويبدو ان بعض اصدقائه المعجبين بمواهبه الرامقين تمرده في شعره لأموه على انه يكثر الحديث ويقـل الفعـل

---

(١٩) انظر عزام ٥٣٢ ، ٥٣٣ .

(١٨) ابن العديم ١ : ١٩٩ .

(٢٠) انظر الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .

(٢١) ابن العديم ٩٧ .

(٢٢) الواحدي ٤٩ وعزام ٢٧ .

(٢٣) الواحدي ٥٢ وعزام ٢٨ .

ويتعلل بالامال التي لن تتحقق ويرضى بالاقلال حتى غدا هذا الرضى شيمة له ملازمة . فينبري للدفاع عن نفسه وينفي تهمة التعلل بالامال والقناعة بالاقلال . ويبين لهم انه مدرك تمام الادراك ان نوائب الدهر لن تدعه حتى يسد طريقها اليه بما يتقوى به من مال وأنصار . ويداه صفر من المال ، واللوم في ذلك لا يقع عليه بل على هذا الزمن الذي أهلك ماله وسلبه الغنى . وهو يسمع بالجود ولا يحصل الا على الوعود ، فاصحاب الاموال لم يستكثروا من المروءة كما استكثروا من المال . والانصار اين يجدهم ؟ فهو يرى اناسا على صورة البشر وعند الاختبار يجدهم كالنعم لا عقول لهم . ولذا فليس له بعد ان نفد صبره الا ان يورد نفسه المهالك ، ويخوض غمرات الحرب ، ومعه كل ماضي العزيمة ، طالما انتظر تمرده على السلطان وقضاءه على دولة العبيد الخدم من المماليك الاتراك ومن هم على شاكلتهم . وهو يحضض نفسه على القتال ، وورود حياض الردى متركة الخوف لضعاف الرجال .

فلا يجوز ان يبقى الملك في يد ضعيف خائر لا يدفع عن نفسه ولا يذود عن خلافته ، وهو يعرض طبعا بالخليفة الذي كان لا يملك من امر الحكم شيئا وقد تخلى عنه للامراء الاتراك .

فالمقتدر اتى به الاتراك ثم خلعوه واعادوه سنة ٣١٧ وفي سنة ٣٢٠ قتلوه ورفعوا راسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنون وجردوه من سراويله وتركوه مكشوف العورة . والقاهر اتى به الاتراك وخلعوه سنة ٣٢٢ ولما ينه السنة الثانية من خلافته ، وسملت عيناه واخذ يتسول في المساجد والطرقات . فأي هوان بعد هذا الهوان ، وهل يصلح امثال هؤلاء لتولي الملك . وهو لذا يتوعد حكام العصر ، من عرب وعجم فان اطاعوه واجابوا منع عنهم سيفه ، والا قتلهم وتجاوزهم الى غيرهم .

وقد صور ابو الطيب في هذه القصيدة ، وفي مقطوعته التي اجاب بها ابا سعيد المخيمري حين عذله في ترك لقاء الملوك ، وموقفه من حكام العصر ، وعزمه على القضاء عليهم لان في هذا حلا لمشكلته الخاصة وتحقيقا لامانيه ، ووضعا للرجل الكفي وهو هو ، في المكان الذي هو جدير به . ولم يخرج ابو الطيب في قصائده التي قالها في هذه الفترة وفي العلاقات التي حاول ان يقيمها مع بعض القبائل والامراء ، عن نطاق التفكير في مشكلته الذاتية وحقه المهضوم وخلاصه الفردي . ولم يكن رفضه للنظام السائد وشعوره باللانتماء ، الا جزءا من قضيته الخاصة التي يعمل من اجلها .

اما الشعور القومي العام ، والتفكير في تخليص الامة من اعدائها ، والعمل لرد الهيبة للسلطان العربي فامور لم تكن تخطر له ببال . ولذا صب صورة تلبطل على غرار ذاته ، وربطها بما يتصف به هو من عبقرية الشعر وصحة العزيمة واقتحام المخاطر ، ومن معاني الفتوة والمروءة التي كان يجد في نفسه الصورة المثلى لها .

بعد هذه الصرخات المدوية التي تستنكرها آذان الحكام كان لا بد من اجراء يتخذ ضد هذا المتمرد الفتي الذي اثار النفوس واهاج اهل البادية على اهل الحاضرة واغراهم بالحكم والحكام وحرضهم على التمرد . ولم يكن الشبه بعيدا بين عصر ابي الطيب وعصرنا ، ولم يكن حكام عصره يختلفون كثيرا عمن نعرف من بعض حكام هذا العصر . فلا بد من ان تلفق له تهمة . وكانت قائمة التهم امام حكام عصره طويلة تستند الى شواهد عدة من التاريخ القريب ومن احداث العصر .

فمن اليسير ان يتهم بانه خارجي ، اي متمرد على السلطان ، وقد كثر الخارجيون او الخوارج في ذلك العصر . ومنهم ابن مطر ، ومحمد بن صالح والاغر بن مطرة الثعلبي . وقد يتهم بالقرمطية وهي تهمة تنطوي على تهم ولها ما يبررها في تاريخ ابي الطيب ، وابو طاهر القرمطي دوخ العراق ولم يتجاوز السادسة عشرة من عمره . وقد يحاكم بتهمة ادعاء الربوبية وقد ادعاها من قبله محمد بن بشر والحلاج . وقد يتهم بادعاء النبوة ، كما اتهم ، وفي كل سنة كان يظهر نبي مزعوم . وقد يتهم بانه ادعى النسب العلوي ، حسينيا او حسنيا ، وما اكثر من ادعوا هذا النسب في عصره وفي كل عصر .

لقد اختاروا لابي الطيب تهمتين : النبوة والعلوية وانا أميل الى تبرئته منهما . فنبوته عندي نبوة فطنة والمعية وكشف للمستقبل على ضوء الحاضر . وادعاؤه النسب العلوي ليس تهمة تؤدي به الى السجن الا اذا اقترنت بالثورة والتطلع الى الاستيلاء على الحكم . وقد رد شيخنا محمود محمد شاكر على هاتين التهمتين وعلى غيرهما بما لا يحتاج الى فضل بيان .

الامر عندنا ، في هذا كله ، ان ابا الطيب عبر عن تمرده في شعره ، وكان له من عبقريته الشعرية والمعينة ونظرته النافذة الى حقائق الامور ما يخشى معه ان يكون خطرا على المتنازعين على الحكم في ديار الشام ، او الطامعين في القضاء على خلافة العباسيين ، من اتراك ودعاة ، وانه استطاع بتبديه وتعاربه وفهمه لنفسية الاعراب ، ان يثير النفوس ويحرك الضغائن ويحدث فتنة ، لا نعرف سر حظوتها بالاقناع والانتشار ، وان خصومه الذين حرصوا على كتمان سره ، وحذروه من افشاء هذا السر وما يتصل به من شعائر ، تعاونوا مع السلطان عليه ، فالقوه في غيابة السجن مرة او مرتين . لم يكن ابو الطيب في نظرنا اكثر من ثائر فتي ، أدرك هموم الاخرين وربطها بهمه الشخصي ، واتيح له من الذكاء واللسن وقوة الحجة وسطوع البرهان ما يمكنه من اقناع جموع من المتذمرين اختلفت اسباب تذمرهم والتقت في رغبتهم جميعا في التمرد والثورة على الاوضاع القائمة .

في السجن

في تلك الايام السود ، ايام السجن ، ادلى ابو الطيب بشهادته وصرح او الح الى اوضاع كان ينكرها والى

خصوم كادوا لـه ومكروا به وحفروا لـه هوة لم يملك الا ان يقع فيهـا .

حفظت لنـا المصادر عن فترة السجن قصيدتيـن احداهما في مدح ابن كيغلغ (٢٤) والثانية موجهة الـى اميـر يستشفعه في أمره .(٢٥) ثم مقطوعة في التوسل الى الاميـر وبيتين في هجاء ابن علي الهاشمي الذي تولى القبض عليه ، ومقطوعتيـن احداهما في مدح ابـي دلف والثانية في مداعبته ، وهي مداعبة اقرب الى الهجاء . ثم مقطعان في الرد على الضرير الضبي حين هجاه (٢٦) .

ذكر عزام في زياداته ان ابا الطيب قال القصيـدة الاولـى في مدح ابن كيغلغ وهو احمد بن ابراهيم ، ابـو العباس ، كمـا جاء في البيت السادس ، وهو الذي مدحه بقصيدته الدالية (٢٧) ، كمـا ذكرنـا سابقا نقـلا عـن ابن العديـم .

اما القصيدة الثانية الدالية ، فازعم انه قالهـا فـي الاخشيـد محمد بن طغج لا في اسحاق بن كيغلغ كمـا ذكر بلاشير . اذ ان في القصيدة ابياتا تشي بانه قالها في امير قوي مملك ، لا في وال بمستوى اسحاق بن كيغلغ الذي جرؤ ابو الطيب فيما بعد على تناوله باقذع الهجاء . فهو يقـول فيهـا :

رمى حلبـا بنواصي الخيـول
وسمر يرقن دمـا في الصعيد
وبيض سافـرة ما يقمن لا في الرقاب ولا في الغمـود
يقـدن الفنـاء غـداة اللقـــاء
الى كل جيش كثيـر العديـد
فمن كالامير ابن بنت الامير ام مـن كآبائـه والجدود
سعوا للمعالـي وهـم صبيـة
وسادوا وجادوا وهم في المهود
امالـك رقـي ومن شـأنـه
هبات الجيـن وعتق العبيـد

ومثل هذا الوصف يبدو واسعا فضفاضا علـى اسحاق بن كيغلغ او حتى على اخيه احمد . وهذا الجيش الجرار الذي رمى به الامير حلب ، لا يمكن ان يكون جيش ابـن كيغلغ او من هم اعظم منه من الولاة، بل لا بد مـن ان يكـون جيش خليفـة او امير ابن بنت امير ، ورث المجد كانوا عن كابر ، وسعى ابآؤه واجداده للمعالي وهم صبية.

(٢٤) عـزام ٥٢٧ .
(٢٥) الواحدي ٨٠ وعزام ٤٦ .
(٢٦) يزعم بلاشير ان مقطوعتين منها كانتا بينه وبيـن الشاعـر الصنوبري . وهو يعتمد على خبر اورده البغدادي فـي خزانـة الادب ١ : ٣٨٢ . والبغدادي يذكـر الشاعر الضبي وقـد كـان الصنوبري ضبيا ، ولكن ليس من الضروري ان يكون هو والاصح انهمـا للضرير الضبي .
(٢٧) الواحدي ٢٦ وعزام ١٣ .

هذا فضلا عن ان الشاعر يشير في القصيدة الـى هزيمة الخرشني . والخرشني هذا هو بدر الخرشنـي (بدر بن عمار ممدوح ابي الطيب فيمـا بعد) . وكـان الخليفـة الراضي قد اسند اليه رئاسة الشرطة فوقف في وجه مؤامرات الامراء الاتراك وغلمانهم . واخفق فـي القضاء على احدى فتنهم فعزلـه الخليفة ، وارسله الـى حلب واليـا خوفا من انتقام الغلمـان الحجرية . وكانت في يد طريف بن عبدالله السبكري ، غلام مؤنس المظفر ، الذي ارتفع مقامه في نظر الخلافة حين قبض على سيـده سنة ٣٢١ وسلمه للخليفـة القاهر . فتوجه بدر الى حلب، فدافعه طريف عنها ، ولكنه انهزم امامه . ولم يستقر بدر بها الا قليلا اذ استدعي الى العاصمة ، او طرده منهـا طريف بمساعدة محمـد بن طغج الاخشيد وقد اسقط ابو الطيب هذه القصيدة من ديوانه قبيل اتصاله ببدر الخرشني، ابن عمار .اذ جاء في مقدمتها في طبعة عزام ..« وقـد امتنع عن عمل الشعر بمصر . سأله جماعـة من اهـل الادب بهـا اثبات بعض مـا كان اسقطه من شعره رغبـة فيه، فاجاب الى ذلك . فممـا اثبت قوله في صبـاه وقد وشى به قوم الى السلطان .. »

اذن رفع ابو الطيب استرحامه وهو ملقى في السجن، بتهمـة لم تخرج من النيـة الى حيز الفعل . كمـا جاء في القصيدة ، الى الاميـر ابن طغج والـى خصمه بالامس وحليفه اليوم احمـد ابن ابراهيم بن كيغلغ . ومن الطبيعي ان يرفع ابو الطيب استرحامه اليهما فالذي سجنـه هو لؤلؤ امير حمص من قبل الاخشيديين . وينبغي لنـا ان نلتفت في القصيدة الدالية الى عبارة « محك اليهـود » فلهـا عند ابي الطيب معنى دقيق .

ونذكر هنـا ، بالمناسبة ، ان الذي وكل اليه امـر تقييده هو ابن علي الهاشمي . وقد هجاه ابو الطيب ببيتين عرض فيهمـا بنسبه الدعي (٢٨) ..

يبقى من فترة السجن مقطوعتان في سجانـه ابـي دلف بن كنداج (٢٩) ، ولعله ينتسب الى القائد محمد بن اسحق بن كنداج ، او كنداجيق ، احد القواد البارزيـن في أواخـر القرن الثالث واوائل القرن الرابع .

في المقطوعة الاولى، ولعلها جزء من قصيدة قيلت قبيل دخول ابي الطيب السجن ثم اسقط عـدد من ابياتها ـ يحاول الشاعر ان يوثق اواصر الود مع ابو دلف هدية وهو المقطوعة الثانية فقبلت وقد اهدى اليه ابو دلف هدية وهو معتقل بحمص ، وكان بلغه عنه قبل ذلك انه ثلبـه عنـد السلطـان الذي اعتقله . وفيهـا تجريـح لابي دلف ، ويبدو انهـا كانت خاتمة علاقة كان ابو الطيب يرجو لهـا ان تـدوم .

خرج ابو الطيب من السجن بعد ان حشر قرابـة

(٢٨) الواحدي ٨٧٦ .
(٢٩) انظر الواحدي ٧٩ ، وعزام ٤٥ و ٥٣٠ .

عاميـن مع حثالة البشر من اللصوص والمجرمين ، غيـر نادم على ما حدث ، اذ لم تكن تجربته في التمرد ، نـزوة عابرة . بل كانت هدف خطة اخذ يرسمها لنفسه منذ كان في العراق ، ليسترد حقه المهضوم ، ولينتقم من خصومه. ولعلـه ادرك ، فيمـا بعد ، ان مثل هذه الثورة الفردية لم يكن من اليسير ان تنجح ، فالاعداد لها لم يكـن كافيا ، والقبائل التي اعتمد عليهـا ، من كلب وكلاب وعدي ، في السماوة وحمص ، خذلته وفرت امام جنود لؤلؤ امير حمص للاخشيديين . وان وجود الاخشيديين في تلـك الديار ومطامعهم في الاستيلاء علـى الحكـم ، ودولتهم ما تزال في فتائها وقوتها ، لا بد من ان يكون عقبة في سبيل تحقيق احلامه في السلطان . فضلا عن ان القوى الاخرى ، كالامراء الاتراك والحمدانيين ، وخصومه الذين يكيدون له ، لم يكـن يرضيهم ان يبلـغ هذا التمرد غايته .

على ان ابا الطيب لم يخرج من السجن مهزومـا ولم يكـن السجـن ومـا لقي فيه من عذاب كاد يورده موارد التلف ، ممـا يصرفه عن تحقيق هدفه ، وعن السعـي لاقتناص الحظ الذي طلبه لنفسه ولجدته . ولكن لا بد له من تقييم الموقف تقييمـا جديدا ، كمـا فعل سابقا حين قرر مغادرة العراق الى بلاد الشام . ولا بد من دراسـة اوضاع القوى المتصارعة من جديد ، بحيث يكون الاقتراب منهـا هذه المرة اكثر اسعافا على النجح ، ويكون التعامل معها من خلال الاثارة والتحريض حين يكون الامر متعلقا بالقبائل ، ومن خلال التخلي عن النغمة الذاتية العنيفة ، والاختفاء وراء الممدوح واعتباره ، حين يكون عربيا ، البطل الذي ستتحقق من خلاله احلامه ــ وهذا ما سيفعله مـع بدر بن عمـار ، ممثل قوة ابن رائق ، ومع سيف الدولة ممثل قوة الحمدانيين . وان يكون الاتصال بغير العرب ، كالاخشيديين ، توثيقـا لعلاقة قد تثمر يومـا ما في بلاد الشام او في مصر .

الشاميـات الثانيـة :

تحفظ لنـا المصادر عن هذه الفترة التـي عقبت خروجه من السجن وسبقت اتصاله ببني رائق وممثلهـم بدر بن عمار ، حوالي خمس وثلاثين قصيدة ومقطوعة . كثر فيهـا المديح وتنوعت اهدافه ، وقل الهجاء والتحدث عـن النفس .

تأتي مقطوعة ابي الطيب التـي خاطب بها صديقه ابا عبدالله معاذ بن اسماعيل (٣٠) ، الاولى بيـن القصائـد والمقطوعات التي قالهـا عقب خروجه من السجن ، وفـق الترتيب الذي اتبعه ابن وكيع والتزمناه في بحثنـا هذا . وهي كذلك في ترتيب الواحدي ، وعزام . ولا ندري لم اختار بلاشيـر (٣١) ان يعتبرها مما قيل قبيل دخـول السجن مع انه حاول ان يلتزم ترتيب الواحدي فـي دراسته . ويقدمها الواحدي على انهـا قيلت ردا على معاذ حين عذله هذا على تقدمه في الحرب ويتضح مـن تأمـل معاني القصيدة انها قيلت بعد حادثة التمرد ، وان ابـا الطيب يجيب بهـا لائمه هذا ، ولائميه والشامتين بـه جميعا ، فيقول له ولهم ان مكانه في الحرب ما زال خفيـا عليهم ، وان مطلبه الجسيم جدير بان يخاطر فيه بالمهج الجسام ، مرة تلو اخرى ، وان النكبات ، ومنها نكبـة السجن لن تأخذ ممن كان مثله ، وان الزمـان لم يبلـغ مراده منه ومن تغيير حاله وتوهين امره ولا انقاد هو لـه انقياد من يسلمه زمامه ، وانه حين تمتلىء عيون الخيـل منه ، عند لقاء الجمعين ، فالويل لخصومه .

بعدها تأتي مقطوعة يخاطب فيها قوما نالوا منه في مجالسهم ، ولعلهم شمتوا بهلاخفاق تمرده ، وطعنوا فـي نسبه ، الذي كان حجة لاولي الكيد من الكائدين له ، وهو يصف نفسه بانه عين المسود الجحجاح ، الذي حاول اعداؤه الكلاب ان يهجنوه ، اي يطعنوا في نسبه ، وهل يكـون الهجين الا هجينا والصريح الا صريحا وان انتسب الى غير نسبـه (٣٢) .

بعد ذلك تأتي مقطوعات يستفاد منهـا انها قيلت في مجالس بعض الكلابيين ، ولعله حاول الاتصال بهم ثانيـة بعد اخفاق تدبيره ، ولكن المقطوعات لا تخرج عمـا يقال في مجالس المباسطة والانس ، وليس في شعر هذه الفترة مـا يشير الى انه مدح احدا منهم . وقد تكون هـذه المقطوعات ، على الارغم من اجماع المصادر على وضعهـا في شعر ما بعد السجن ، ممـا ينتمي الى جولته الاولى في شمالـي بلاد الشام حين كانت صلاته بالكلابيين اوثق . او ربما حذف ابو الطيب قصائده التي قالها في مدحهم فـي هذه الفترة ، في وقت لاحق ، ليطمس اخبار ماض لـم يعد يرضى عنه ، كمـا فعل بقصيدته الداليـة التي قالها في السجن . تلك المقطوعات الثلاث التي قالها ، فيمـا يبدو ، في مجالس بعض الكلابيين بوادي بطنان قرب حلب ، تدور جميعـا حول موقفه من الخمـر ، وهـو الموقف الاخلاقي الصارم الذي التزمه في حياته ، ترفعـا عـن مباذل العصر التي كان يسمع بها او يراها في مجالس من خالطهم من امراء زمانه . وهو في مقطوعاته الخمرية هذه ، يضع ملذاته الشخصية ، وهي معاطاة الباترات والصفائح والعوالي ، ومنادمة القنا ، واقحام الخميس في الخميس ، مقابل تلـك اللذات التـي لا تروقه ولا تقع عنده موقـع الرغبة والاستحسان . ولكنه قد يشربها ، غير آثم ، ليحل صديقا له حلف عليه بالطلاق ان يشربها (٣٣) .

اول قصيدة من قصائد المدح في هذه الفترة قالهـا

---

(٣٠) الواحدي ٧٤ وعزام ٤٩ .

(٣١) ابو الطيب المتنبي ١٢٥ .

(٣٢) الواحدي ٨٥ وعزام ٤٩ .

(٣٣) انظر هذه المقطوعات في الواحدي ٨٦ ــ ٨٧ ــ ٨٨ وعزام ٥٠ ــ ٥١ ــ ٥٢ .

في صديقه ابي القاسم عبيدالله بن خراسان الطرابلسي، الذي مدحه في الشاميات الاولى (٣٤) . وهو في هذه القصيدة يسير على نهجه القديم فيبدأ بالمقدمة الغزلية (١ – ٦) ثم يتحدث في البيت السابع عن نكبات الدهر التي رمته عن كثب ، ولكنها لم ترم منه رعديدا ولا نكسا، ثم ينتقل فجأة الى المديح . فيذكر ابناء عبيدالله ، ويجعل حسادهم فدى لهم ، كما تفدى جبهة العير حافر الفرس . ولعله يقصد بالحساد هنا ابناء عمومتهم من آل حيدرة الذين هجاهم ابو الطيب فيما بعد (٣٥) . وهو يعتز بصلة ابناء عبيدالله هؤلاء ولا يحذر ايا من الملوك ،وهم سنده ولا يخشى قرنا من الاقران وهم سيفه وترسه .

تلي ذلك قصيدة قالها في مدح محمد بن زريق الطرسوسي (٣٦) وهي قصيدة بادية التكلف كثيرة المبالغات ، وقد اصاب القاضي الجرجاني حين وصف بعض ابياتها بانها تجمع « بين البرد والفثاثة وبين الثقل والوخامة ، فابعد الاستعارة وعوص اللفظ وعقد الكلام واساء الترتيب وبالغ في التكلف وزاد على التعمق حتى خرج الى السخف في بعض والى الاحالة في بعض ». وهو يلمح في البيت الثامن والعشرين الى انه نظمها اولا في بعض اهل انطاكية ثم حجبها عنهم . ولعل الممدوح، وهو رجل حرب ، ادرك ذلك ، او انه استخف بالشاعر وشعره فكافأه عليها بعشرة دراهم زادها الى عشرين بتحريض من جلسائه . ويبدو من مقطوعة الحقها بالقصيدة (٣٧) . ان الممدوح تأخر في مكافأته ، او ان ابا الطيب استصغر المكافأة ، فهو يستحثه ويهز اريحيته .

تأتي بعد ذلك ثلاث قصائد قالها في مدح رجلين من بني بحتر ، اثنان (٣٨) منها في مدح ابي احمد عبيدالله بن يحيى بن الوليد البحتري ، والثالثة (٣٩) في مدح اخيه ابي عبادة . وهما ابني بحتر بن عنود من طيء، وارجح انهما حفيدا الشاعر البحتري . ويتضح من القصيدة الاولى ان الممدوح كان قد وصل الشاعر بهبات عدة قبل ذلك . والقصائد الثلاث ، ومجموعها خمسون بيتا خصصت للمدح وطلب الرفد ، وفيها ابيات يشيد فيها ابو الطيب باليمنية ، وهي نسبة يعتز بها .

بعد ذلك تأتي قصيدتان في مدح ابي المظفر مساور ابن محمد الروحي احد قواد الاخشيد . قال الاولى (٤٠) فيما يبدو ، قبل بروزه في حرب ابن يزداذ والي حلب من قبل ابن رائق ، لانها تخلو من الاشارات التاريخية التي اعتاد ابو الطيب ان يضمنها شعره . وهي قصيدة مدح مما اعتاد ابو الطيب ان يقوله في مثل هذا الممدوح. وفي آخر بيت منها يصف ابو الطيب قصيدته بأنها « جهد المقل » فاذا اولاه الممدوح خيرا فهو ابن كريمة ، ولسانه فصيح . في القصيدة الثانية (٤١) يذكر ابو الطيب المعركة التي كانت سنة ٣٢٩ بين جيش كافور ، الاستاذ ، الذي كان مساور في مقدمته ، مع محمد يزداذ والي حلب ، والتي انتهت بكسر ابن يزداذ واسره ، وتعيين مساور واليا عليها . وهي قصيدة « حربية » من اولها الى آخرها. لا تبدأ بمقدمة غزلية كما بدأت القصيدة الاولى ، بل هجم فيها الشاعر على ذكر تلك الواقعة ، مفصلا ما حدث فيها من احداث وكأنه احد شهودها .

بهاتين القصيدتين مد ابو الطيب جسرا مع الاخشيديين ، سيخطو عليه اذا اخفق سعيه في الاتصال بجماعة ابن رائق . التي كانت في نظره ، وفيما رسمه لنفسه من مبادىء ، تمثل العنصر العربي الذي ينبغي الاعتماد عليه في استرداد الهيبة للسلطان العربي .

بعد ذلك تأتي قصائده في التنوخيين في اللاذقية . وهنا يخوض ابو الطيب عالم القبائل اليمنية ثانية ، بما فيه من مخاطر ، بعد ان خذلته كلب وكلاب (٤٢) . وتشير مقطوعة في الديوان ، قالها في الفترة الشامية الاولى (٤٣) ، الى انه كان على صلة ببعضهم . ولعله اسقط قصائد ومقطوعات قيلت في مدحهم ، تجنبا لما قد تثيره عليه من مشكلات حين يتصل بهم ثانية . او لعل هذا البعض الذي مدحه كان من فخذ في القبيلة معاد لممدوحيه الجدد ، وهذا امر شائع في بطون القبائل وافخاذها وعشائرها ، يمليه الصراع الداخلي على زعامة القبيلة كما تليه الولاءات المختلفة للقبائل ، ومواقفها المتباينة من ذوي الحول والسلطان في المناطق التي تضرب فيها خيامها .

اولى قصائده في التنوخيين ، كانت في رثاء محمد ابن اسحاق بن يوسف التنوخي (٤٤) . والقصيدة مكونة من ثلاثة مقاطع ، الاول قصيدة ابي الطيب التي اعدها لهذه المناسبة ، والثاني مقطع مرتجل قاله حين استزاده ذوو الفقيد والثالث مقطع اخر مرتجل قاله نزولا عند رغبة ابناء عمهم ، آل ابراهيم بن يوسف ، ينفي عنهم تهمة الشماتة بموت ابن عمهم . وستكون مدائح ابي الطيب ، في فترة اتصاله هذا بالتنوخيين موزعة بين آل

(٣٤) الواحدي ٣٥ وعزام ١٦ .
(٣٥) انظر عزام ٥٣٢ ، ٥٣٣ .
(٣٦) الواحدي ٩٣ وعزام ٥٢ .
(٣٧) الواحدي ٩٨ وعزام ٥٥ .
(٣٨) الواحدي ٩٩ ، ١٠١ .
(٣٩) الواحدي ١٠٤ .
(٤٠) الواحدي ١٠٧ وعزام ٥٩ .

(٤١) الواحدي ١١٣ . وعزام ٦٣ .
(٤٢) يؤثر بلاشير ان يرتب قصائده في التنوخيين في الدور الاول من رحلته الشامية . انظر كتابه ص ٧٢ وما بعدها .ونحن نلتزم ترتيب ابن وكيع وعزام وهو الاصح في نظرنا .
(٤٣) الواحدي ٤٨ وعزام ٢٦ .
(٤٤) الواحدي ١١٦ وعزام ٦٤ .

اسحاق وآل ابراهيم. ويبدو ان المقطع الثالث من القصيدة لم يكن كافيا لنفي الشماتة عن آل ابراهيم ، وان ابناء الفقيد وذويه واهل اللاذقية ما زالوا يلمحون الى هذه الشماتة ، وان احد الشعراء الذين رثا الفقيد اتهم آل ابراهيم بالشماتة . ولذا يطلب الى ابي الطيب ان يعود الى هذا الموضوع ليزيل اللبس وينفي عن ابناء العمومة اي اثارة للشماتة. فينظم قصيدة جديدة (٤٥) يدافع فيها عن مشاعرهم تجاه الفقيد ، ويلمح الى ان الذي سعى بالافساد بينهم يهودي . ولعل هذا اليهودي هو الذي رثى الفقيد والمح الى تلك الشماتة ، فيكون بذلك احد هؤلاء اليهود الذين اشار ابو الطيب الى محكهم او محلهم في دالية السجن .

بعد ذلك يتفرغ ابو الطيب حينا الى مدح التنوخيين من الفريقين ، فيمدح الحسين ، اخا الفقيد بقصيدتين ويعاتبه في قصيدة ، ويمدح علي بن ابراهيم بثلاث قصائد ويداعبه في مقطوعتين خمريتين . وواضح من استقراء الشعر والوقائع انه كان اقرب الى آل ابراهيم .

في القصيدة الاولى التي مدح بها الحسين بن اسحاق التنوخي (٤٦) يعود ابو الطيب الى صوره الصحراوية وذكرياته البدوية المحببة الى نفسه ، والتي اعتاد ان يتخذها مدخلا لممدوحيه من العرب ليخلق بينه وبينهم جوا من الالفة والخبرات المشتركة . وهو يغدق عليه الصفات الحربية، ويمدحه بالسخاء والاريحية ، وهي الصفات التي يرددها الشاعر حين يقترب من ممدوحه العربي ، وخاصة اذا كان من ابناء البادية ، حتى ولو كان مقيما في الحاضرة .

ويبدو ان مبالغة ابي الطيب في مدح الحسين ، لم تجل ما كان في نفسه تجاهه . ويبدو ان موقفه في رثاء اخيه محمد ، ونيابته عن آل ابراهيم في نفي الشماتة عنهم . قد جعلته في نظر آل اسحاق طرفا في الخصومة. وزاد في ذلك ان احد الحاسدين سعى الى الافساد بين ابي الطيب وآل اسحاق ــ ولعله ذاك اليهودي ــ فزعم لمحمد ان ابا الطيب هجاه ، فنقم محمد ذلك عليه ، مما حمل ابا الطيب على ان يعاتبه (٤٧) ، وان ينفي الشبهة عن نفسه . وتأمل قوله في هذه القصيدة « اولاد الزناء » فقد تعني ايضا الادعياء .

ويعود ابو الطيب الى مدحه في قصيدة (٤٨) يتحدث فيها لاول مرة بعد خروجه من السجن حديثا متشنجا عن مواهبه وقدراته ، فهو انطق العرب ، واطعنهم ، واشجعهم واقواهم واكثرهم خبرة بالارض ونأسها ، تطول اسفاره، واشدهم عزيمة . وكأنه في فخره هذا يجعل نفسه ندا للممدوح ، عن تعمد ، حتى لا يزداد موقفه ضعفا امامه ، ولا سيما ان الحساد ما زالوا يحرضونه عليه ، ويزعمون انه هجاه ، وهو ينكر ذلك وينفيه عن نفسه ، فالنخوة اليمنية تأبى له ذلك ، وفعال الممدوح وشجاعته في الحرب ، تجعله فوق مستوى الهجاء .

بعد هذه القصائد التي يبدو انها لم تثمر في اقناع الممدوح ينصرف ابو الطيب الى ابن عمه علي بن ابراهيم، الذي كان ، فيما يبدو ، يرتاح الى صحبته، ويمنحه خالص وده كما ذكر في آخر مقطع من مقاطع رثائيته (٤٩) . وفي المقطوعتين الخمريتين (٥٠) اللتين ارتجلهما في مجلسه ما يؤكد لنا انبساطه اليه والفته مجلسه . وهما شبيهتان بتلك المقطوعات التي قالها في مجالس اصدقائه الكلابيين آنفا ، وفي مجلس بدر بن عمار ، وابن طغج فيما بعد . والقصائد الثلاث التي قالها في مدحه هي من مطولاته . فقد تجاوزت كل منها الاربعين بيتا، بينما لم يتجاوز ما قاله في ابن عمه خمسة وسبعين بيتا جمعت بين المدح والعتاب والتفاخر بالنفس .

رتب ابن وكيع، وكذلك الواحدي وعزام ، القصائد الثلاث ترتيبا لا نرتضيه ، اذ جاءت عندهم الدالية اولا ثم العينية فالميمية . ومن قراءتي لهذه القصائد وتدبري معانيها تبين لي ان الترتيب الاصح هو تقديم العينية، ثم ارداقها بالميمية فالدالية .

في العينية (٥١) وهي الاولى في ترتيبنا ، يسير ابو الطيب على نهجه في القصائد المدحية فيبدأ بمقدمة غزلية طويلة بدوية الطابع ، يتحدث فيها عن الاطلال ومتدبريها ، ويصف حبيبته بانها منعمة رداح ، عظيمة الارداف ترى لها اذا ماست اضطرابا وحركة، يضيق الدملج عن ذراعيها فتفصمه وتكسره لامتلائه بها، وعظم ساعديها غليظ باللحم حتى ليظن ضجيعها زندها شخصا مضاجعا له . وهي جميلة الوجه كأن نقابها غير رقيق يمنع البدر الطلوع ، ويضيء بضوء البدر تحته ، وهي منعة عزيزة الجانب ، يهيم بها كل من عرف بجمالها ولكنها لا تلين لاحد . وبمثل هذه المقدمة اعتاد ابو الطيب ان يدخل على ممدوحيه اذا كانوا عربا تبعث صور البادية في نفوسهم الحنين وتثير فيها مكامن الشجن. بعد ذلك ينتقل الى مدح ممدوحه ، ويبالغ في هذا المدح اشد مبالغة ، ويديره على معاني المكر والدهاء والبأس والشجاعة والاريحية والسخاء ، ويذكر ان هباته الثرة انسته الحنين الى مراتع صباه والى والدته (جدته). ويبدو من استقراء معاني القصيدة ، ومما احاط بابي الطيب من ظروف في زيارته هذه اللاذقية ، ان بينه وبين

(٤٥) الواحدي ١٢٢ ، وعزام ٦٨ .

(٤٦) الواحدي ١٢٢ وعزام ٦٨ .

(٤٧) ذكر الواحدي خطأ ص ١٢٧ انها في محمد بن اسحاق . ومحمد بن اسحق هو المرثي في القصيدة الرائية ، وانظر عزام ٧٠.

(٤٨) الواحدي ١٢٨ وعزام ٧١ .

(٤٩) انظر الواحدي ١٢٠ وعزام ٦٧ .

(٥٠) الواحدي ١٣٥ ــ ١٣٦ وعزام ٧٥ ــ ٧٦ .

(٥١) الواحدي ١٤٣ وعزام ٨١ .

الممدوح ودا قديما ، لعل اواصره انعقدت في زيارة سابقة .

في القصيدة الثانية (٥٢) ، حسب ترتيبنا ، يدخل ابو الطيب على ممدوحه مدخلا عجيبا ، فهو يقف على الطلل ، في بيت واحد ، ولكنه طلل من نوع جديد ، هو طلل الهمم التي درست وذهبت فغدت اولى بالبكاء من الدمن والاطلال . ولاول مرة بعد الخروج من السجن ، يعود الشاعر الى نفمته القديمة المحببة التي سكت عنها فيما قال من شعر في هذه الفترة . ويطرح امام الممدوح قضيته من زاوية جديدة ، فحين كان يذكر ملوك العرب والعجم في السابق كما فعل في بيته (٥٣) :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا
ومن عصى من ملوك العرب والعجم

او في رده على ابي سعيد المخيمري وقد عذله في تركه لقاء الملوك انما كان يذكرهم في اطار قضيته الخاصة، وحقه المنكور ، والخلاص الفردي الذي كان يتطلع الى تحقيقه بالقوة . اما هنا فانه قد وصل الى قرار ، استخلصه من واقع تجربته الخاصة ومعرفته باحوال العصر وخبرته بالحياة والناس . فقد تبين له نتيجة ذلك كله ان الناس بحكامهم وان العرب لا يفلحون اذا كان ملوكهم من الاعاجم الذين لا ادب عندهم ولا حسب ولا عهود ولا ذمم . وهو يأسى اشد الاسى لانه لم ير في اي ارض وطئها من ديار العرب في العراق والشام سوى امم يرعاها عبد من الاتراك ، عبيد الخلفاء . ثم لا يترك الممدوح يسيغ ريقه بعد هذه المفاجأة المثيرة حتى يعرج على حساده ، وهو وان لامهم فما ينكر انه عقوبة لهم بتقدمه عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضله . وكيف لا يحسدونه وهو بين الرجال علم له على كل هامة قدم . وكيف لا يحسد من كان من الهيبة بحيث يهابه انيسه ومن الشجاعة بحيث تتقيه الابطال .

ثم ينتقل الى مدح الممدوح ، بعد ان صك مسمعيه بكل مثير من الافكار ، ولا يخرج في مدحه عن نطاق ما قاله وما سيقوله فيه . ثم يشير الى انه ترك بحيرة طبرية على ما فيها من جمال ، لا يشينه الا جريها على بلد تشينه الادعياء والقزم . وللادعياء في شعر ابي الطيب معنى دقيق محدود .

في القصيدة الاخيرة، الدالية ،(٥٤) يبلغ ابو الطيب نهاية التدرج في كشفه عن غايته ، ويخرج من العام الى الخاص . ويبين عن هدفه في الابيات التسعة الاولى من القصيدة . فهو مؤرق يستطيل الليلة التي سيراه صباحها وقد خاض غمار الحرب . وهو يفكر جادا في معاقرة المنايا وقود الخيل الى المعترك ، ليسفك برمحه دم الحواضر والبوادي . وهو يؤاخذ نفسه ويلومها لتخلفها وتوانيها وتماديها في الانتظار ، والانشغال عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكساد . والايام تمضي ، والشباب اذا ذهب لا يسترد وكل يوم يمر ليس الى استعادته من سبيل . واذا تناهى العمر في الازدياد، فان هذا الازدياد يعقب نقصا .

وفجأة يتوقف الشاعر عن هذا البوح، ولعله احس انه تجاوز حده او افشى سرا كان ينبغي له ان يكتمه . فينتقل الى المديح ويصف ممدوحه كدأبه ، بالسخاء والاريحية ، وبانه بطل مغوار ومسعر حرب . ويشير الى واقعة بعينها ، استطاع فيها ان يخضد شوكة اناس كان لهم في اللاذقية بغي وعدوان وطمع في الامارة ، فاسكن ثائرتهم ومزق عنهم ثوب الغي والبسهم ثوب الرشاد فتخلوا عن طمعهم في الامارة مكرهين . ويرى بلاشير ان الشاعر يشير هنا الى قمع الممدوح فتنة بني الفصيص التنوخيين قبل ايام . ونحن وان كنا نتفق معه في هذا الاستنتاج فاننا نختلف معه في التوقيت . ففتنة بني الفصيص ، على ما ذكر ابن العديم (٥٥) ، وقعت سنة ٣١٩ . وقد حاصرهم والي حلب طريف بن عبدالله السبكري ، غلام مؤنس المظفر في حصونهم باللاذقية وغيرها ، فحاربوه حربا شديدا حتى نفذ جميع ما كان عندهم من القوت والماء فنزلوا على الامان فرثى لهم واكرمهم ودخلوا معه حلب مكرمين معظمين . وقد رأينا من الخلافات التي وقعت بين ابناء العمومة من التنوخيين ما يغرينا بأن الممدوح اخذ جانب السلطة في تلك الفتنة وايد طريفا في حملته على ابناء عمومته .

بعد تلك الابيات التي الم فيها ابو الطيب الى واقعة ابن الفصيص ، يأخذ في تقديم النصح للممدوح ،وتحذيره من ثورة تعقب هذا السكون فقد تكون الالسنة موالية بينما الافئدة مطوية على الحقد والعداء . ويحضه على الاخذ بالشدة ، والضرب بلا رحمة ، وكأن ابا الطيب يقطر له تجربته مع القبائل ، ويمحضه اياها نصيحة مجرب مخلص .

ثم يشير الى اناس نزل بهم ومدحهم ،باشارة(٥٦) من الممدوح ، فسار عنهم بغير زاد . والبيت التالي قد يوحي بان هؤلاء الممدوحين من قوم الممدوح ولعلهم من بني عمه اسحاق . ويلمح الى انه سيغادره بعد غد ولكن قلبه لن يغادر فناءه ، وسيظل محبا له حيثما اتجهت ركابه وضيفه حيث كان من البلاد . ولكن ما بين ايدينا من قصائد واخبار يقطع بان هذه الصلة انبتت حيث انتهت القصيدة ، وان ابا الحسين لم يكن بحيث وضعه الشاعر، من التحسس القومي والجرأة على الانتفاض على الحكام.

(٥٢) الواحدي ١٤٨ وعزام ٨٤ .
(٥٣) الواحدي ٥٨ وعزام ٣٤ .
(٥٤) الواحدي ١٣٧ وعزام ٧٦ .

(٥٥) ابن العديم ٩٧ .
(٥٦) رواية الواحدي « اشرت » بكسر الشين ، ورواية عزام وابن جني بفتحها وانا أؤثر الرواية الثانية .

بعد هذا تنقطع صلة ابي الطيب بالتنوخيين، ويتجه بانظاره الى ممدوح جديد هو المغيث بن علي بن بشر العجلي ويبدو من نسبته أنه من قبيلة عجل وهي بطن من عاملة من بني عدى اليمنية . وكانت نفس الشاعر قد امتلأت بالمعاني الجديدة التي بدأت تتراكم فيها عقب خروجه من السجن والتي فثأ بعضها امام صديقه التنوخي. ومدح حاميه الجديد بقصيدتين . يبدأ الاولى (٥٧) بمقدمة غزلية ، بدوية الصور والمعاني . ويتخلص الى المديح ببيت معلق بمعنى العروبة ، التي بدأت تشغل خواطره وتحتل حيزا من تفكيره وشعره . ويبدو ان ممدوحه الجديد كان كاتبا بليغا متوقد الخاطر فضلا عن انه شجاع سمح ، فهو يمدحه بهذه الصفات ، ويمدح قبيلته بالشجاعة والاقدام في الحروب ، ثم يعود الى مدحه ، ويفاجئه ، كما فاجأ التنوخي، بثورته ، ولكنها ثورة لم تطل اذ اوجزها في خمسة ابيات فجر فيها ما كان يغلي في نفسه من حمم الشكوى والتهديد والوعيد . ولعل تجربته في اللاذقية مع التنوخين الذين بذل لهم من المودة اصفاها وكال لهم من المديح اروعه لم تكن سارة ، وان اماله فيهم ذهبت ادراج الرياح . وهذه المعاني تتكرر على صورة اشد واعنف في القصيدة التالية (٥٨) ، التي ارتفعت فيها نغمة التهديد ، وامتزجت بمرارة شديدة . وفيها تتوضح اكثر فاكثر غصص الخيبة التي تجرعها الشاعر في تجربته الحديثة . وثورته على صغار معاصريه وحطتهم ، وندرة الاصدقاء الخلص ، بل انعدامهم ، وضعف ملوك العصر وتهافتهم على الشهوات وانقلاب الاوضاع والمفاهيم بحيث علا الطغام والسفلة وساس الرعية من هم اجدر بان تسوسهم الرعية . ويرثي مطامحه وآماله التي مضى اكثر عمره ويخشى ان تذهب بقيته قبل ان يحقق منها شيئا .

بهذا قدم الشاعر قصيدته الثانية لممدوحه الجديد، وكأنه يخاطب فيه رجلا يعطف على اماله ويتحسس مشاعره ، ويدرك معنى اهدافه التي عجز سابقوه من الممدوحين عن ادراكها . وقد وصفه الشاعر في قصيدتيه بأنه كاتب بارع ذكي الجنان ، جدل صعب المراس ، يروعك بوقاره ويستبيك بظرفه ، فضلا عن شجاعته وسخائه .

بقيت من هذه الجولة خمس قصائد قالها في اشخاص لم نهتد الى معرفتهم ، انتجاعا للرزق وطلبا للرفد، لم يثر فيها ثورته عند التنوخي والعجلي ، بل كان هادىء النفس ، همه ان يحصل على العطاء . وقد ساقها جميعا على نهج واحد ، مقدمة غزلية بدوية ، يتبعها التخلص الى المدح . والممدوحين جميعا يتصفون بالسخاء ، ويختلفون باختلاف اعمالهم .

اولاها في القاضي المالكي ابي الفرج احمد بن الحسين (٥٩) ، وهو يصفه بالعلم والفطنة ودقة المنطق والفقه في القضاء والتدين والظرف فضلا عن الجود . والثانية (٦٠) في علي بن منصور الحاجب ، وهو عنده كريم شجاع ، وقد كافأه عليها الممدوح بدينار واحد فسميت « الدينارية » (٦١) . والثالثة في ابي حفص عمر بن سليمان الشرابي (٦٢) ، وقد قيل انه كان يومئذ يتولى الفداء بين الروم والعرب، ولم يقبل الواحدي هذه الصفة ، فقال في شرحه للبيت الثامن والعشرين : « قالوا انه كان يتولى فداء الاسارى .. وليس في هذا مدح وانما المعنى انه لا يقبل الفداء والا يفزو (٦٣) . وشرح الواحدي يتفق والاوصاف التي نعت بها الشاعر ممدوحه في ابياته الاخرى. والرابعة (٦٤) في مدح عبدالواحد بن العباس بن ابي الاصبع الكاتب ، وهو عنده حازم يقظ عالم فطن لبيب اروع وكاتب لبق وخطيب مصقع، فضلا عن انه سخي اريحي . والقصيدة الاخيرة (٦٥) ، في عبد الرحمن بن المبارك المعروف بابن شمسة الانطاكي . وفي مقدمتها يغدق الشاعر على نفسه اوصاف الاعراب الضاربين في الفلاة ، ويكرر نغمة او نغمتين من نغماته المحببة التي تنطوي على معنى اليأس والخبرة بالصحراء والضرب فيها ، وتعشق العز . ثم يضفي على ممدوحه بعض الصفات التي مدح بها غيره ، وينوه بطهارته من العيوب وزهده وبركته .

اعقبت جولة ابي الطيب الثانية في شمالي البلاد الشامية خيبة مريرة . وتحول الامل الذي حداه الى قصد التنوخيين الى يأس مرير وثورة عارمة تجلت في قصيدتيه اللتين قالهما في مدح المغيث العجلي . ولعله حين ثار امامه وانفجر بتلك الابيات العنيفة لم يرد منه اكثر من ان يستمع له وان يعينه بفكره وماله على الجولة الجديدة التي كان يعد لها . ثم فترت ثورته وانكفأ على نفسه يفكر في ما آلت اليه حاله وما ينبغي له ان يفعل بعد ان قوبل بالصمت والتنكر . وكانت قصائده الخمس الاخيرة من قبيل الشعر السهل الذي يواتيه متى شاء ، ولم يقلها وفي نفسه هدف ابعد من الفوز بالجائزة وتأثيل المال الذي قادته خبرته بالحياة ومعرفته بالناس الى جعله صنوا للمجد . وقد اتاحت له ايامه الاخيرة في الشمال السوري ان يرسم خطته الجديدة التي قدرها وبناها على اساس الاتصال باولي الامر من الولاة والامراء بعد ان اثبتت له تجاربه ان الاعتماد على القبائل امر لا جدوى منه.

ووزن ابو الطيب القوى التي ما تزال بارزة في

---

(٥٧) الواحدي ١٥٤ وعزام ٨٨ .
(٥٨) الواحدي ١٦٠ وعزام ٩٢ .
(٥٩) الواحدي ١٦٦ وعزام ٩٦ .
(٦٠) الواحدي ١٧٢ وعزام ٩٩ .
(٦١) البديعي : الصبح المنبي ٤٢٢ .
(٦٢) الواحدي ١٧٧ وعزام ١٠٣ .
(٦٣) الواحدي ١٨٠ .
(٦٤) الواحدي ١٨٢ وعزام ١٠٧ .
(٦٥) الواحدي ١٨٦ وعزام ١١١ .

ميدان الصراع على الحكم ، ورأى ان اقربها بالنسبة الى مشاعره القومية ، واقدرها على تحقيق اماله هي قوة الامراء العرب الذين يمثلهم محمد بن رائق ، امير الامراء الذي كان يقف في وجه الاخشيديين ، ويحاول ان يستخلص منهم بلاد الشام ومصر . وقد رأى ابو الطيب ان يتدرج في هذه الصلة وان يروز رجال ابن رائق قبل ان يتصل به اتصالا مباشرا . فبدأ تنفيذ خطته بالاتصال بابي علي هارون بن عبدالاوراجي الكاتب ، وكان في مسيرته الطويلة وتجواله في بلاد الشام الى صحبة الكتاب لانهم اقدر على فهمه من سواهم وخاصة اذا كانوا من الامراء والولاة . وكان اتصاله بالاوراجي يحمل فضلا عن ذلك معاني أخرى ، ويؤدي الى غايات متعددة . فالاوراجي ختن الحسين بن علي بن محمد ، الوزير المغربي الذي كان يدبر الامير محمد بن ياقوت الذي استطاع ان يتحكم في ادارة الدولة في بغداد ويستقل بها سنة ٣٢٢ . والاوراجي في الوقت نفسه من رجال ابن رائق (٦٦) ، فلا بد من ان تكون الصلة به جزيلة النفع ، ولا بد لمن يريد ان يعبر الى ابن رائق ورجاله كبدر بن عمار ، من ان يقطع هذا الجسر .

نظم ابو الطيب وهو في فناء الاوراجي قصيدتين احداهما في مدحه (٦٧) والثانية طردية (٦٨) نظمها بطلب من ممدوحه . في القصيدة الاولى يقدم ابو الطيب لمدحه بمقدمة غزلية ينتقل منها الى الحديث عن نفسه ، فيذكر نبأه وشاعريته وشهرته وسعة صدره وبعد مطلبه . ثم يمدح الاوراجي ، ويدير مديحه في الاكثر على سخائه وشجاعته ومنعته . وهو يبالغ في هذه الاوصاف ولا نعلم مدى حظها من الصدق لان الاخبار التي لدينا عن الممدوح قليلة .

أما الطردية التي نظمها في مجلس ابي علي ، فهي احدى طرديات ثلاث نظمها الشاعر . وقد بذل ابو الطيب كل ما لديه من جهد كي تخرج وفق ما اراده ممدوحه ، مع ان الشاعر لم يكن احد شهود وقائعها . ولعله اراد بذلك ان يعلي من شأنه في نظر هذا الممدوح الذي قصده وفي نفسه رجاء يخفيه .

ولا ندري ماذا فعل الاوراجي للشاعر ، هل مهد السبيل أمامه للوصول الى بدر بن عمار . اخبار التاريخ لا تنبئنا بشيء ، ولكن ترتيب قصائده يشير الى انه قصد ابن عمار بعد فراقه الاوراجي مباشرة .

في صحبة بدر بن عمار :

كان بدر بن عمار حين قصده ابو الطيب في حدود سنة ٣٢٩ واليا على طبرية من قبل الامير محمد بن رائق ، وضمت اليه صور اثناء اقامة ابي الطيب في كنفه .

مدح الشاعر بدرا بخمس قصائد هي من أروع شعره في هذه الفترة . تتميز بينها الاسدية التي بلغ فيها قمة الابداع في تصوير حركات الاسد الذي جندله الممدوح وانفعالاته .

وتكشف القصيدة الاولى (٦٩) عن حقيقة مشاعر ابي الطيب تجاه هذا الحامي الجديد اهو حلم يتحقق له بعد طول انتظار ، أم زمان جديد يختلف عن زمانه السابق ، أم ان الخلق اعيد تشكيله وبعث من جديد على الصورة التي يرتجيها الشاعر . لقد اخذت المفاجأة بزمامه ، فاهمل المقدمة الغزلية ، ووصف الرحلة واسترسل في الحديث عن النفس ، وانطلق يتحدث عن حاميه الجديد ، في لهجة تجمع بين الحماسة والاعجاب ، ويركز على الصفات التي احبها فيه لدى أول لقاء ، وهي التواضع والسخاء والاقدام ، ولكن حظ الشجاعة منه هو الاعظم ، لانه مسعر حروب وبطل عربي . وستدور مدائح ابي الطيب فيما بعد على هذه المعاني ، يلونها بالوان ما يستجد من احداث خلال هذه العلاقة المريحة التي هدأ فيها جيشان الشاعر ، واخذ يشعر بالطمأنينة والاستقرار في كنف امير عربي يختلف وضعا وشخصية عمن عرفهم سابقا من أمراء البدو ، وصغار الموظفين والحكام .

وفرح ابي الطيب بهذا اللقاء يدفعه في مزالق المبالغة الخطرة ، فالممدوح آية المجد التي اراها الله عباده ، وهو وحيد بني آدم الذي يعز نظيره .

وبعد ان اطمأنت نفس الشاعر الى انسة الممدوح به ، وادرك من مكاشفته له في الجلسات الاخوانية انه ينطوي على مشاعر غير بعيدة عن مشاعره ، اخذ يتدرج في التلميح الى آماله ثم الى التحضيض والتحريض .

ففي القصيدة الثانية (٧٠) أخذ ابو الطيب بعد المقدمة الغزلية ، يتحدث عن فروسيته وشجاعته وقدرته على تحمل المكاره ، وصبره على لأواء السفر ، واجتيابه المهامه والقفار ، يقطعها وحيدا ، مجتزئا بسيفه وخبرته . ويتحدث عن الصداقة ، التي انكرها في اخر جولته في الشمال السوري ، بعد أن لمس من تجهم الاصدقاء وخيانتهم ما لمس ، فخرج من هذه التجربة المرة ، بان صديق المرء الحقيقي هو نفسه وان كثر التجمل والكلام (٧١) ، وقرر ان يهجر كل صديق ينكر جانبه ، ولن تعييه الحيل في فراقه ، وفي سعة الارض مضطرب ، وفي بلاد من اختها بدل . ولعل في بعض هذا الكلام انذارا للممدوح الذي كان حريصا على استبقاء الشاعر . ثم يستفيق بعد هذا البث الوجداني الى مدح صاحبه ، بمعان وصفات لا تخرج عما مدحه به سابقا ولكن الصور هنا

---

(٦٦) انظر نبذة عن اخباره في المواعظ والاعتبار للمقريزي ١٥٧:٢ .

(٦٧) الواحدي ١٩١ وعزام ١١٤ .

(٦٨) الواحدي ٢٠١ وعزام ١٢٠ .

(٦٩) الواحدي ٢٠٦ وعزام ١٢٣ .

(٧٠) الواحدي ٢١٠ وعزام ١٢٥ .

(٧١) في بيته :

خليلك انت لا من قلت خلي وان كثر التجمل والكلام

تتلون بحادثة المبضع الذي اخطأ الطبيب في استعماله اثناء فصد الممدوح . وينهي قصيدته ، في سياق التدرج ، ببيت فيه تحريض وتحضيض ، فيصف بدرا بانه منقطع النظير ، وان الحكم لا يصلح الا لمثله (٧٢) .

وفي القصيدة الثالثة (٧٣) يعود بعد المقدمة الغزلية الى الحديث عن حزنه وقلقه والى تقلبه في البلاد والفته الترحل ، وما ذلك عن طبع فيه ، ولكن ظروف حياته السابقة تضطره الى مثل هذا . فهو في الحقيقة رهن بتصاريف الاقدار ، تحطه في ارض وتزيله عنها دون محاولة منه او ازماع . مع انه يرى اشد الغم في السرور الذي يتيقن صاحبه انه مرتحل عنه لا محالة . ولعل في هذا تعبيرا عن انسه ببدر وحرصه على البقاء في ظله ، اذا حرص هو من ناحيته على هذا البقاء ، ولم تعاوده المنغصات التي تحمله على تركه . ويتضح من ابيات القصيدة ان هذه المنغصات بدأت تطل بأنفها ، اذ اخذ المتشاعرون ، ومنهم ابن كروس الاعور ، ينالون منه ويدسون له عند صديقه ، ويثبطون من عزيمته . وفي مدحه له ، وهو يجري على السياق المألوف ، يذكر انه حسام لابن رائق المرجي ، حسام المتقي الذي يصول به (٧٤) .

ويعود الشاعر منذ البيت التالي لهذا البيت الى تحضيض الممدوح وربطه بأماني العرب . فهو ، فضلا عن كونه حساما لابن رائق ، سنان في قناة بني معد وبني أسد . وهو بهذا اعز المتغالبين على الحكم كفا وسيفا ومقدرة وحمية وقوما . وهو ابن العرب الطاعنين بكل لدن الضاربين بكل غضب . وهو بما فيه من صفات البطولة والشجاعة والسخاء ، وبما يعتز به من نسبه العربي ، قد سبق السابقين فما يجاري . وهو لو صلح يمينا لشيء ، لما صلح الناس جميعا شمالا له ، وهو قد بلغ من الكمال الغاية التي ليس وراءها غاية لمتكامل .

في القصيدة الرابعة ، وهي الاسدية (٧٥) ينتقل الشاعر من المقدمة الغزلية الى وصف مناجزة بدر للاسد . ويخوض في وصف هذه المبارزة التي يتلاقى فيها ندان ، ملك الغاب ، وملك الناس التارك الملك العزيز ذليلا . ويأتي في وصف الاسد ، وفي وصف الممدوح بأروع الصور الوصفية وادقها في شعره . ويدس الكثير من مشاعره الخاصة في هذا الوصف ، ثم ينهيها باوصاف جريئة يجاوز فيها الحد في المبالغة .

وفي القصيدة الاخيرة (٧٦) التي قالها بعد عودة بدر من جولته في مدى الساحل يبث همومه ، بعد المقدمة الغزلية ، في بيتين يلمح فيهما الى الاحداث التي طرقت ساحه في الماضي ، وكان ينكرها ، حتى كثرت وتكررت فاعترف بها وغدت له ديدنا . وينتقل الى المدح ، ولا يخرج فيه عما قال سابقا من معاني الشجاعة والسخاء . ثم يعرج على خصومه الذين يكيدون له ، وعلى رأسهم ابن كروس الذي كتب الى بدر يقول : انما تخلف عنك ابو الطيب رغبة عنك ورفعا لنفسه عن السير معك (٧٧) . وفي هجوم ابي الطيب على هؤلاء الخصوم يصفهم بانهم سفهاء لؤماء اولاد زناء .

اما المقطوعات التي ارتجلها في مجالس بدر ، فتدل على ما كان بينهما من ود حميم والفة وثيقة . وهي تدور على الخمر اذ ارتجل اكثرها في مجالس شراب . ويدور المدح فيها على المعاني التي ترددت في قصائده ، وفي احداها يصفه بانه « سيدنا وابن سيد العرب » . ولا تخلو من الاثارة والتحضيض والتنبيه الى الدور الذي ينبغي ان يضطلع به بدر .

ولكن ايام ابي الطيب عند بدر على طولها ، ستمضي كما مضى غيرها . فأبو الطيب كما وصف نفسه لا تتركه همومه ومطامحه ان يستقر في بلد . وليست صحبة الامير على ما فيها من متعة ، وما ناله من جوائز وهبات ، ومالقيه من ود وترحيب وتكريم بمغنية عنه شيئا . واخذ الحساد والمتشاعرون ، ممن نعرف ومن لا نعرف ، يطاردونه بمكائدهم فاضطر الشاعر الى ان يشد رحاله الى بلد آخر ما دام الممدوح لم ينتصح بنصيحته ، ولم يدرك ، على فطنته ، معنى ابياته :

ومهمه جُبته على قدمي ... تعجز عنه العرامس الذلل
بصارمي مرتد ، بمخبرتي ... مجتزىء ، بالظلام مشتمل
اذا صديق نكرتُ جانبه ... لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب ... وفي بلاد من اختها بدلُ

المصادر والمراجع

البديعي ، يوسف : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ـ تحقيق مصطفى السقا واخرين . دار المعارف القاهرة ١٩٦٣ .

البغدادي ، عبدالقادر : خزانة الادب ولب لباب لسان العرب ، بولاق القاهرة ١٢٩٩ .

بلاشير ، ريجيس : ابو الطيب المتنبي . ترجمة الدكتور ابراهيم كيلاني . وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٥ .

ابن جني ، ابو الفتح عثمان : الفسر ، مخطوطة قونية .

ابن حزم ، علي بن احمد بن سعيد : جمهرة انساب العرب ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون . دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٧٢) وذلك في بيته :

مثلك يا بدر لا يكون ولا ... تصلح الا لمثلك الدول

(٧٣) الواحدي ٢١٦ وعزام ١٢٨ .

(٧٤) يؤرخ عزام (ص ١٢٣) هذه القصيدة بعد ربيع الاول من سنة ٣٢٩ ، وهو تاريخ تولي المتقي الحكم .

(٧٥) الواحدي ٢٢٤ وعزام ١٣٢ .

(٧٦) الواحدي ٢٣٢ وعزام ١٣٧ .

(٧٧) انظر عزام ١٣٧ .

الصفدي ، صلاح‌الدين خليل بن ايبك : الوافي بالوفيات ج ٦. تحقيق س . ديدرينغ . دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ .
الطباخ ، محمد راغب :اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج ١ ـ المطبعة العلمية ، حلب ١٩٢٣ .
ابن العديم ، كمال الدين عمر : زبدة الحلب من تاريخ‌حلب ج ١ . تحقيق الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١ .
المتنبي : احمد بن الحسين : ديوان ابـــي الطيب المتنبـي . صنعة الدكتور عبدالوهاب عزام ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهـرة ١٩٤٤ .
ـ ديوان ابي الطيب المتنبي ـ شرح ابي الحسن علي‌بن احمد الواحدي تحقيق فريدريخ ديتريصي ، برليـن ١٨٦١ .
المقريزي ، تقي‌الدين : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار ج ٢ بولاق ، القاهرة ١٢٧٠ هـ .
ابن وكيع ، الحسن بن علي : المنصف من السارق والمسروق في شعـر المتنبي ـ تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم (مخطوط).

مظاهر العظمة والطموح في شعر المتنبي

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٢٨ ـ

ولامر اخـر ظل المتنبي خالدا بفنه هـو هذه النبرة الشاجية العاليـة فـي‌شعره . وهو أمر تفطن اليه حازم القرطاجني‌التونسي وذكره بتفصيل في كتابه منهاج البلغاء ، ومما يقوله : « ان‌احوال جمهور الناس والمتفرغين لسماع الكلام حائمة حـول مـا ينعـم ويشجو » قال المتنبي :

انما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد

وبعد ان عدّد حازم الاحوال المستطابة او السارة قال :«والاحوال الشاجية منهـا احوال اعقبت فيها الوحشة من الانس والكدر من الصفاء نحـو اعقاب التنعم بالحبيب بالتالم لفراقه واعقاب التنعـم بالشبيبة بالتالم لفراقها واعقاب التنعم بالوطن المؤنس بالتالم لفراقه واعقاب التنعم بالزمن المسعدبالتالم لفراقه.ومنهااحوال كان الجور فيها وضع موضع العدل والاساءة موضع الاحسان فهي امـور على غير ما يلائم ذا الفضل . وكثير ما كان ابو الطيب المتنبـي يقصـد هـذا الضرب والذي قبله من الشاجية فكـان ذلك ممـا حسن موقعه من النفوس اذ اكثر الناس لا يخلو عن بعض هذه الاحوال » .

ورغم هذه النغمة الشاجية فان حكم المتنبي جاءت صورة مـن نفسه خاليـة من كل دعوة للذل والانخذال والتواكـل والتشاؤم . وسيظل ابو الطيب المتنبي في نظـر الاجيال ، رغم جوانـب الغلو البلاغية في شعره رمزا ادبيـا رائعا للاعتداد العربي بالنفس وللهمة العربيـة وللاباء العربي .

تونس

صدر حديثا

التراث الفلسطيني والطبقات

تاليف

علي الخليلي

« غايـة هذه الدراسة ، في الاساس ، مساهمتها في تكريس التـراث الشعبي العربي الفلسطيني داخل نمو الثورة وتصاعدها .. واداة الدراسة المركزيـة هي الامثال الشعبيـة الفلسطينية باعتبارهـا جـزءا اساسيا من التراث الشعبي الفلسطيني ... وهـي تؤكد القدرة الفذّة لمجتمعنـا العربـي الفلسطينـي على الصمود والحيوية والنمو والتطـور طالمـا هـو محتفظ بتراثه الشعبي ، هذا التراث الـذي تحـاول الامبريالية والصهيونية ، متساندتيـن متلاحمتين ، قتله وتدميره ، انكـارا لوجود شعب فلسطينـي .. ولذلك فان كل احياء واثراء ونشر وتعميـق وتحليل للتراث الشعبـي الفلسطيني بكافة اشكاله والوانـه هو دعم للثورة وتكريس لها ، كما انه اضاءة للمنافـي الفلسطينية ولحمة لها .. »

ـ من المقدمة ـ

منشورات دار الآداب